نادية كرومي

ذكريات من الماضي

2009

العنوان: ذكريات من الماضي
تأليف: نادية كرومي
الطبعة الأولى 2023
عدد الصفحات: 56ص
خدمات دار الإخلاص والصواب: تدقيق لغوي، تصميم أغلفة، إخراج فني داخلي وخارجي للكتاب.

الترقيم الدولي: ISBN 978-9931-299-18-9

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر، ولا يجوز نهائيًا نشر أو اقتباس أو اختزال أو نقل أي جزء من الكتاب سواء كانت إلكترونية أو آلية دون الحصول على إذن كتابي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

دار الإخلاص والصواب
للطباعة والنشر والتوزيع

تعاونيات حركات محمد حي جمال - وهران - الجزائر
الجوال : 0771475776 / 0552130741
هاتف وفاكس : 041847112
البريد الإلكتروني: tawhid_sena2006@hotmail.com

الإهـــــداء

أهدي هذا العمل إلي كل أفراد عائلتي، وإلى كل أصدقائي وزملائي وتلامذتي

وإلي كل من يحبني وإلي كل من دعمني ولو بكلمة طيبة..

لازلت أتذكر يا مراد ذلك اليوم الذي جئنا فيه أنا وعائلتي الجميلة، عائلة عبد العزيز، إلي حي باب عزون بالقصبة العريقة حازمين أمتعتنا، يحمل الكل منا أكياسا ونحن لازلنا براعم، نملك قلبا بريئا وجلدا ناعما، فلقد كانت الخطايا بعيدة عنا كل البعد، كم كانت الأيام جميلة، أتذكر يا حبيبي حين التقينا أول مرة، أعرف أنك نسيتني لكنني لم أنساك أبدا وظلت ذكرياتك عالقة بذاكرتي، كنا لازلنا في السن السادسة عندما انتقلت أنا وعائلتي، كنت تلعب الكرة مع أصدقائك في ذلك الحي الجميل، وكنت ألعب لعبة العرائس، أضع ضفائرا و وألبس فستانا قصير ناعم الملمس كالحرير، كم كنت أحب أن أكون أميرة وأركب مع فارسي على حصان أبيض يمشي بنا ويسير، حيثما شئنا.

جئنا في عجل فدخلنا على بيت قديم، لعله يرجع إلي العهد التركي، فلما دخلنا إليه جعلت جدرانه ترسم لنا تاريخه بتفنن وصار الزمن يعود بنا إلي الوراء، أه كم كنت أتمنى لو التقيتك في ذلك الزمن لكنت خلوت لي أنا فقط ولما كنت ذهبت وتركتني أرثيك في كل وقت وأعانق ذكرياتك وأبكي بعدك.

كان والديا لازال يعملان في قطاع التعليم بالعاصمة، وكانت فرح تصغرني بسنة.

دخلنا في العام ذاته أنا وأنت إلي الإبتدائية، فكانت أقرب من مقر منزلنا في حي باب عزون، كنا نرتاد المدرسة أنا وأنت كل يوم ونرجع على نفس الطريق مشاة، بينما كانت فرح لزالت تكمل سنوات البراءة رفقة أمي، التي كانت تعمل مع أبي ليلا ونهارلكي تجلب لنا ما يسد حاجتنا من أكل وملبس،

كانت تجاهد لكي ترى ابتسامتنا، رغم عملها الشاق، فالتعليم مهنة اجتمعت فيها كل الصفات جد وكد واجتهاد وصبر على كل شيء، أليس المعلم من قال فيه أحمد شوقي «كاد المعلم أن يكون رسولا»، يقضي حياته في شقاء وفي سباق مع الزمن يريد عيش دقائق مع أهله وأصدقائه والبعض الآخر مع تلامذته ولعل الوقت الأطول الذي يقضيه يكون دائما مخصصا لتلامذته، فهو وجد من أجلهم، فهؤلاء هم أيضا يعيشون في ضياع طوال الوقت النصف منهم يشكو من هجر والديه له والنصف من تعنيفهم له والنصف الأخر لعله يكون لفرط الإهتمام به حتى صار لا يعرف كيف يتصرف لشدة اتكاله عليهم.

فلكم عانت أمي في تلك الليالي التي كانت تحضر فيها دروسا لتلامذتها وهي لازلت تحضر حساءا لنا وتعجن خبزا طريا لنا، وتضع فراشا دافيء لنا، ولكم قدمت حياتها لترسيخ العلم في تلك العقول التي لاطالما كانت تجد صعوبة في شرح كل شيء لها.

رغم كل ذلك إلا أنها كانت تقول لنا دائما أنا أفرح عندما أرى الإبتسامة مرسومة على وجوهكم ، كانت تمضي أوقاتها تهمس في الخفاء قائلة:ترى هل صححت لفلان دفتره؟، هل أضفت نقطة لفلان في التقييم...؟

فقد كانت تخاف كثيرا أن تهملهم، وترتكب جرما كهذا فتسمى بالمعلمة السيئة، فتكون بعد ذلك في نظر الكل كذلك.

وظلا أمال وعادل على ذلك الحال، حتى اندمجت ابنتاهما فرح ودنيا مع الحياة تدريجيا، وهكذا صارت تشعر بارتياح أحسن من ذي قبل.

كنت يا مراد أكبر بسرعة وكانت السنوات تمر بقربك بسرعة حتى بلغنا الصف الثانوي، وفرح كانت لزالت في المتوسطة، كنت أقضي معظم وقتي معك نمشي ونمرح في الطريق، ونغني ونرقص لحين وصولنا إلي منازلنا، لكن فرح لم تكن تحب ذلك فقررت ترك الدراسة ومزاولة المنزل لإجل مساعدة أمي وتعلم كل شيء يخص البيت من تنظيف وطبخ وجلي وكوي...الخ،

لقد كانت فرح نعم الفتاة، تحب الحجاب وتعشق كل شيء يخص دينها، تواظب على قراءة القرآن وتقوم صلواتها في وقتها،

كم كنت أغار منها عندما كنت أراها كذلك، خاصة عندما كنت أدرس في الثانوية وأرجع فأجدها رفقة أمي، تضحكاني وتمرحاني سويا، كنت أغار بشدة لأنني كنت أرى نفسي وحيدة وليس لي

أحد يحبني، كنت أنانية اكثرونرجسية ومتملكة مذ صغري يا مراد.

انتهت أيام الثانوية بسرعة وجاء امتحان البكالوريا ونحن لزلنا نعض أناملنا من شدة القلق، ونبكي في خوف من خسارته، ولزالت أمهاتنا تحضرن للإحتفال بالنجاح قبل اجتيازنا له، فأمي وأمك وأبي وأباك كانوا يقومون بالتويزا كل جمعة في الحي لطيلة تلك الأيام التي كنا نجتاز فيها ويعملون بجد لأجل القيام بذلك الإحتفال الذي كانوا ينتظرنوه منذ بداية السنة.

مرت الأيام بسرعة وجاء اليوم الموعود، يوم ظهور نتائج البكالوريا والكل يتحمس لسماع ذلك، بينما كان البعض الآخر لا يجد لنفسه مكانا وسط ذلك الكم الغفير من الناس الذين كانوا يحضرون لذلك ، لأنه كان كلما فرح زارته أفكار حزينة زادت من خوفه سماع أخبار تقلب كيانه وتجعله يبكي ويذرف الدموع.

كنا في غرفة المعيشة نجلس سويا أنا وفرح وأبي وأمي، وإذا بنا نسمع رنين الجرس يأتي من الخارج، وإذا بأصواتنا تتهاتف، فجعلنا نتسابق أنا و فرح على فتح الباب، فسبقتني فرح لفتحه،

ففتحه واذا بها تجد نورة صديقتي من كانت تطرق الباب، ففرحت بقدومها ودعتها للدخول مرحبة، ثم قالت لها: هذا أنت يا نورة، كيف حالك؟، تفضلي، أرجوك..

فاجابتها نورة مبتسمة:أنا بخير وأنت يا فرح، كيف حالك ؟

فأجابتها فرح قائلة:بخير يا أختي، تفضلي، زرتنا البركة.

دخلت نورة فوجدتني مع عائلتي نتبادل أطراف الحديث ونشرب شاي أخضر ونأكل قطائف، ففرح الكل برؤيتها ودعونها لإنضمام إليهم.

فابتسمت كعادتها وامسكت بيدي وهي تحدق في عيوني ثم قالت لي:احزري ماذا يا دنيا ؟

فأجيبتها في ذهل: ماذا هناك يا نورة ؟

ألا قلت لي ماذا هناك، فإنني ولله لم يتبقى لدي صبر على الصدمات..

ثم ابتسمت ابتسامة عريضة لتهديء من روعي ثم قالت لي:ليس هناك شيء قد يقلقك.

ثم تعالى صوت العائلة في هذه الأثناء قائلا:هيا أخبريها ستجن المسكينة من

شدة الفضول، وتعالت ضحكاتهم في البيت أكثر من ذي قبل..

وفجأة تحدثت نورة وقالت:

لقد نجحنا، نجحنا يا دنيا...

مبارك علينا...

وفي هذه الأثناء أستقبلت كما من اللثمات على خدي، وعناقا لزلت أفتقده منذ سنوات.

وفرحة لا توصف في البيت كنا نعيشها انا و عائلتي..و من شدة فرحي جعلت اقول شاكرة لله:الحمد الله، الحمد لله.

وما إن كدت أنتهي حتى صارت زغاريد أمي تجوب كل الحي، فهي لم تجد كيف تعبر عن شدة فرحها إلا بتلك الزغاريد، في الوقت ذاته تعالت زغاريد النسوة الأخريات في شارع القصبة، فاصبحت هذه الاخيرة من حي لحي مليئة بالإحتفالات وملونة بالأطعمة..

كم كنت أعشق ذلك المنظر يا مراد في تلك اللحظات التي ظلت خالدة في ذهني التي كنت أتذكرها كلما زار اسمك ذاكرتي، رغم ذلك إلا أنني لم أنساك ذلك اليوم، وصرت أقلب عنك وأبحث على اسمك في قائمة الناجحين وإذا بي أجدك «مراد توفيق»، ففرحت كثيرا، حتى كاد يغمى عليا من فرط فرحي، فذهبت مسرعة إلي المنزل لأخلو وحيدة وارقص مسرورة لنجاحك فأنسى تماما نفسي، وهل لي غيرك يا حبيبي..فأنا التي ولدت ذكرياتها معك منذ الطفولة..وهي تكبر الأن في كل لحظة تجمعها بك...

مرت الأيام بسرعة على احتفالنا آخر مرة لتأتي أيام أصعب من تلك الأيام، فهذه أيام الجد و الكد قد أتت، دخلت كعادتي بلباس عصري، فأنا لا أحب الحجاب ولا أحب ارتداءه، فلقد أغرمت بتلك الأجواء وجعلت لي نفسي مكانا بين هؤلاء الذين يجعلون من أنفسهن عرائس قبل أن يخرجن من المنزل لكي يبهرن من يراهن فور خروجهن من منازلهن، فحياتي صار لها معنى ثاني، وصارت الموضة تسكن كل شيء في وتجعلني أبتعد رويدا رويدا عن عالمي الحقيقي، فلقد صرت أكره كل شيء يذكرني بماضي، وأعشق ذلك الذي جعل مني فتاة جديدة لا تشبه دنيا القديمة بشيء، وصار همي الوحيد اصطيادك يا مراد، بينما كانت فرح في البيت تتعلم كل ما يخص البيت وتطهو لأمي بينما هي تعمل .

كنا ندرس سويا أنا وأنت في الجامعة، نجلس على نفس المقاعد، ونتبادل الأحاديث وكل شيء، كنا لازلنا مراهقين نعشق كل شيء نراه لم تكدر أجواءنا مشاكل الحياة أبدا، كنا نتقاسم كل شيء سويا، لم يكن هناك شيء يعيق صفونا، آه! لكم كنت أعشق تلك الأيام التي كنت أقضيها معك يا مراد، لكم كنت أتمنى أن أخلد بجانبك، وأستقيظ فأراك تبتسم وتحدق في عيوني كعادتك، كان حلمي الوحيد أن تظل معي فقط لم أرغب في شيء آخر غير وجودك.

كنت أحضر نفسي للقاءك كعادتي في الجامعة قرب المدرج، وأجمع القليل من الكلمات وأختار أجملها، لكي أقدمها لك هدية لعلها تعجبك، فتقبل بي حبيبة لك..

انتظرتك كثيرا في ذلك المكان وكنت كعادتي أبحث عنك كما تبحث الأم على ابنها الصغير، وفي قلبي خوف يكاد يمزق قلبي ويفتك به.

تراه حبك الذي فعل بي ذلك أم هي خيالاتي التي تقتلني عندما أتخيل أنني تحدثت إليك عن مشاعري، فأستقيظت من الحلم في هلع والعرق يتصبب في جسدي، فلا أكاد أصدق ما رأيت، وأضرب برأسي كالمجنون الذي فقد عقله فأدخل إلي المصح فصار يضرب رأسه كلما جلس يتأمل المكان...

فلا أكاد أستقيظ من ذلك الحلم حتى تظهر فجأة لي كالطيف من بعيد فأسر لرؤيتك، رغبة فاحتضانك والترحيب بك، كنت جميلا ذلك اليوم وكأنك فارس تلبس قميصا أبيض، وبنطلونا جينس أزرق وحذاء رياضي أبيض، تضع نظرات سوداء، كنت ترفع شعرك الأسود إلي الأعلى بحركة يدك التي لا تقوم بها إلا في حضرتي لكي تثبت لي رجولتك...

لكم عشقتك ذلك اليوم، ولو استطعت لخطفتك وجعلتك لي فقط، ولما كنت قد رضخت لقانون المجتمع الظالم الذي يأكل حق المحب ويبدله بحب لا يدخل في القلب إلا حاجة..

فيهلكه ولا يحييه كما كان يفعل بي حبك يا مراد...

كنت تقترب وفي ثغري ابتسامة كعادتي، فجعلت ارحب بك على طريقتي قائلة: مرحبا يا مراد، كيفك حالك ؟

فاجبتني مبتسما قائلا:

- مرحبا، يا دنيا، أنا بخير وأنت كيف حالك يا أميرة، أنت تبدين جميلة...

أجبتك وأنا أحاول إبعاد القليل من الخجل عن وجهي فقلت لك:

- أنا بخير يا مراد..ثم أضفت قائلة:أنت أيضا تبدو جميلا اليوم، تبدو كالفارس..

فابتسمت وأجبتني بلطف تريد شكري قائلا:شكرا لك يا دنيا أنا الفارس وأنت الأميرة..

ابتسمت لما قلت لي ذلك، وصرت أسترجع ما قلت لي في كل نظرة كنت ترقمني بها، لكم أحببت وجودي معك، لم أكن أرى من العالم شيء غيرك أنت قط يا مراد...

لكم أحببت كلمة أميرة منك، فقد كنت أراقب خروجها من فمك بفضول كبير..

لكم تمنيت أن أخلد في ذلك اليوم معك، إلي آخر يوم في حياتي، فأكون حينها أميرتك وتكون أنت فارسي..

تركتك تقول ما لديك وصرت أستجمع أفكاري لكي أقول لك ما أريد،

فأنا منذ زمن طويل أريد ذلك، لعل هذه اللحظة تكون أنسب لي في التعبير لك يا أيها الحب الدفين مذ سنين في قلبي.

كنت ترى طير البلبل يحلق بجانبي فجعلت تبتسم كعادتك، فصارت وجنتاك، حمراء، فازداد انجذابي لك، فلم استطيع إبعاد نظري عنك..

فجعلت أبتسم من فرطي إعجابي بك ثم قلت لك: مراد، أريد أن أقول لك شيء..

فأجبتني كعادتك لكي تسقيني من طاقتك التي لا أكاد أشبع منها، فقلت لك

وفي قلبي خوف كبير من هجرك لي: مراد، أنا أحبك..

أردت أن أخبرك منذ زمن ولكنني لم أملك الجرءة لكي أخبرك.

سمعتني وفجأة تغيرت ملامحك لشدة دهشتك، فقلت لي وأنت تمسك يدي:

- إسمعي يا دنيا أنا لا أراك كذلك، أحبك كأخت لي فنحن ربينا سويا وتقاسمنا أحلام الطفولة، كنا مع بعض في كل لحظة سعادة وفرح لكنني لا أراك إلا أختا لي فأنا لا ارتاح إلا في رؤيتك كذلك...

فاستقبلت كلماتك كطلقة رصاص في قلبي، فاجبتك والدموع تسقي وجنتيايا:

- لكنني أعشقك يا مراد، ولا أرى غيرك في حياتي، فأنا لا أنام إلا مع ذكرياتك ولا اصحو إلا بها، فكيف لك أن تهجر حبي يا مراد، لم أفعل شيء يغضبك ولم أخذلك أبدا، كنت وفية لك دائما، فكيف تقابل حبي لك بالاساءة ؟

تركتني أجفف دموعي غاضبة وحزينة في الوقت ذاته للانفصالي عنك، وذهبت في سبيلك، فخلوت لنفسي، و جاء الحب اللعين أمامي يدمر كل عضو في جسدي، فلم اجد لي قوة في حمل أعبائي وهمومي، فذهبت كما تذهب عجوز في التسعين من عمرها تهرول في الطريق، وقد كان الزمن قد أتعب كل شيء فيها نظرها، وعقلها وقلبها وجعلها كألة عاطلة تحاول العمل بين الحين والآخر في صعوبة كبيرة...

وصلت إلي البيت، ولفرطي حزني عليك ضعف لدي النظر، لزلت أمشي وامسح عيوني، رغم ذلك لا أرى شيء غير الطريق الذي سيأخذني إلي البيت، بعد مرور دقائق وصلت إلي البيت ، وهأنا أفتح الباب بمفتاح كنت أخبأه في محفظتي، دخلت في صمت عابسة الوجه، فاستقبللتني فرح وجعلت تسألني قائلة:

- ماذا جرى لك يا أختي؟

لماذا عيونك حمراء هكذا، ؟تحدث..

تركتها تتحدث وذهبت مسرعة إلي غرفتي، لكي أخلو وحيدة أسترجع ما قلت لي، وأذرف الدموع علها تشفي جروحي الكليمة، وتريح نفسي المتئلمة، ثم رميت بجسدي الواشك على الهلاك على السرير،

أغمضت عيوني، وما لبثت حتى، سمعت فرح تسألني تريد الإطمئنان عني قائلة:

- ماذا جرى يا دنيا ؟ تحدث أنا أسألك، ماذا تخفين عني؟

فسكت ولم أجيبها، فغضبت مني، وخرجت لتتركني أتجرع مرارة هجرك لي وبعدك عني، وأحاول إقناع نفسي بذلك.

تراك تسكنني روحا وجسدا، وكأن جسدك لزال يسكن غرفتي كل يوم في الدقيقة ألف مرة، فلا أستطيع إبعاده ولا كرهه حتى و إن رأيت منك ما رأيت، متيمة أنا بحبك يا مراد، وعاشقة ضعيفة فقدت كل شيء وهي الآن تريد الموت لتختفي بعيدا عن عالمك لعلها ترتاح.

كنت يا مراد في ذلك اليوم ضائعة التفكير لا أعرف ماذا أفعل، لأنسى ما قلت لي، وكان النعاس قد فارق عيوني فأضحت الترهلات في وجهي فجأة وكأنني عجوز ضعيف لا يقوى على فعل شيء، فصرت أفكر في شيء يجعلني أنسى هجرك لي، ووجدت أن في البعد عنك راحة لي، وحزمت حقائبي بينما الكل يغط في عمق، ثم خرجت من المنزل قاصدة محطة الباص فصعدت، وفي قلبي غصة وحزن شديد يقتلني كلما تذكرتك، مشى صاحب الطاكسي بي فنزلت قرب منزلك، أذرف الدموع بشدة، يكاد حزن فراقك عني يقتلني، فحملت يدي في وجه طيفك لألقنه درس الوداع قائلة:

- الوداع يا حبيبي، الوداع يا من سكن روحي وجسدي و قلبي وشرياني وذاكرتي، وأسكنني في حضرته جنة الخلد، فلا أكاد أنساه وإن مت في تلك اللحظة ألف مرة، تراه يسكنني روحا وجسدا فلا أستطيع تركه البتة...

الوداع يا من جمعت كل ذكريات الطفولة و أخطاء المراهقة معك....

الوداع يا من رقص لك وجداني من أول وهلة جئت فيها لحارتك طفلة صغيرة بريئة، لا تعرف الحب لكنك لقنتها على طريقتك .

الوداع يا من جمعني أنا وأحلامي في صاع، فأستطعت بعد زمن طويل أن أراها..

مسحت دموعي في حضرتك يا حبيبي، فخيل لي أنك تحاول ذلك فابتسمت لفرط التفكير بك، وفجأة استفيقت من حلمي، وإذا بي أرى نفسي وحيدة، حزينة، لا حول ولا قوه لها، فقلت لك:

- إسمع يا مراد أنا ذاهبة، سأترك عالمك، وأذهب بعيدا عنك، عن حبك وعن كل شيء يذكرني بك...

حملت حقيبتي والدموع تسيل بغزارة من عيوني من فرط التفكير بك، و من شدة الألم الذي أشعر به لإبتعادي عنك..

حملت الحقيبة و وضتعها في السيارة وجلست، وفي قلبي ألم شديد يوقف كل كلمة أقولها، كان ينبغي لي أن أخبر السائق عن وجهتي فقلت له:

- خذني إلي

إلي محطة العاصمة...

ذهبنا سريعا إليها في تلك الساعة المتأخرة. عندما وصلنا وجدت باص قسنطينة، فركبت فيه رغبة في السفر إلي هناك، لعل رؤيتي للجسور تشفي جروحي، فأنساك في حضرتها.

جلست قرب النافذة للاستنشق نسيم الليل المنعش لعله يشفيني من ذلك الألم الذي يهلكني كلما تذكرتك..

أقلع الباص نحو قسنطينة التي لا يكاد العالم يجد لها مثيل في الجمال والنقاء وحسن الضيافة من أهلها الذين جمعوا بين الصلابة واللين، الذين يستقبلونك بتلك اللهجة الجميلة التي تطرب كيان كل من يسمعها وتشعره بالراحة...

جال بنا الباص ليلا، فجعلت أتذوق طعم السياحة ليلا في مدينة جعلت لزائيريها أطباقا من السعادة وحسن الضيافة و ذكريات من ماضي عريق ترك كل شعب مر بها تاريخا جميلا يصعب نسيانه، لعل ذلك ما يبرر وجود تلك الجسور المعلقة بين جدران المدينة..

كلما مررت بمكان في قسنطينة، دخلت في جسورك دون أن أشعر، فزاد ذلك من حزني بسبب فراقي عنك، فصرت لا أقدر على حمل نفسي من شدة ضعفها وكسرها، وصار الموت يزورني في الدقيقة ألف مرة بسبب فراقك عني يا حبيبي وقسوة الحياة من دونك، وعاد الندم كما فعل بي اخر مرة تركتني فيها، فلا أجد نفسي إلا محاولة محو وجودك من ذاكرتي فلا أقدر على ذلك، وهل يمحو الحبيب حبا قدر له أن يعيشه من دفتر ماضيه ؟ فقط لكي يشعر بالراحة.

لا أعلم حقا يا مراد كيف خرجت ذلك اليوم من المنزل وسافرت بعيدا لعل ذللك يجدي نفعا ويريح قلبي الذي أهلكه هجرك، لكنني أردت أن أشكيك إلي الجسور، لأنك كنت تشبهها في قسوة قلبك..

فلقد ذهبت إلي الجسور في ذلك اليوم لأحكي لها حالي وأرثيك، وأشكو لها هجرك لعلها تريني شيء أستطيع من خلاله نسيانك ..

كنت أمشي والدموع تسقي وجنتاي وحيدة وحزينة تعاني في صمت، أمشي فتتخالف خطواتي، وإذا بي أصطدم ببيت خشبي قديم، فجعلت أطرق بابه فلم يفتح لي أحد، لزالت أطرق الباب حتى فتح لي فدخلت وأنا أصيح بأعلى

صوت متسائلة:

- هل من أحد...؟ هل من أحد ؟ فلم أرى لسؤالي تلك إيجابة، فجلبت لي حطبا و شيء أوقد به نارا لأتخلص من شبح البرد القارص الذي كان يقرص جسدي قرصا، وتناولت وسادة فذهب التفكير بي أليك أيعقل أنني جئت هنا لأنساك، فجئت أنت بمقابل ذلك لتذكرني بك، أيعقل أن تتنتقم من حبيبتك يا مراد ؟

استيقظت فجأة وفي فمي اسمك كنت أنادي لك باعلى صوت أرجوك لكي لا تتركني قائلة:مراد مراد، كانت نبضات قلبي تتسارع كلما نطقت اسمك، وكان التفكير يذهب بي بعيدا، وفجأة يقشعر جسدي البردان، فلا أكاد أرى نفسي إلا محاولة ابعادك عن عقلي الحيران...

مرت الأيام في ذلك الكوخ بسرعة، فلقد رأيت فيه السكينة والأمان بعيدا عنك، ولكنني تعبت تعبا شديدا لعله تعب الفراق، وتغير كل شيء في، وجهي وجسدي، وأصبحت كفتاة بدون هوية، مشتتة الأفكار وفارغة الذاكرة، لكنني لا أبالي..

لم يكن سفر دنيا شيء عاديا بالنسبة للعائلة، فكسرت الأم أمال كسرا شديدا، بسبب غياب ابنتها ومرض الأب عادل حتى فقد قدرته على الحركة، ودخل المستشفى حين قالت له الشرطة بعد بحثها المطول عن دنيا أنهم لم يجدوا لها أثر بعد، فهوى أرضا في يوم من الايام بينما كانت آمال تحاول اسعافه إلي للمستشفى لأجل عمل فحص طبي له، وفي الطريق جمعهم القدر بفتاة تشبه ابنتهم دنيا كثيرا، فذهل عادل لرؤية ذلك وذهب إلى تلك الفتاة مسرعا يعانقها بشدة وهو يذرف الدموع ظنا منه أنها ابنته، لم تتقبل الفتاة المدعوة أحلام فعله تلك فجعلت تبعده وعيونها تطرح الف سؤال عن سبب فعله تلك، قائلة:انا لست ابنتك يا سيدي..

لم يتحمل عادل ذلك فهوى أرضا من شدة الهلع، وأصيب حينها بسكتة قلبية وأسعف على جناح السرعة..

رأت الفتاة ذلك فارتعبت نفسها، فذهبت رفقة امال كي تؤدي ما لديها من واجب، وكي تعرف سر ذلك الحادث الأليم وتفاصيله من زوجته .

حزنت أحلام حزنا شديدا حين سمعت من أمال ما حدث لابنتها.

جاء محمد توفيق أب مراد رفقة مراد و فرح، يهرولون وأصواتهم تكاد تنقطع من هول خوفهم ...

فجلسوا في الخارج في انتظار الطبيب المسؤول عن حالة عادل، كي يطلعهم على أخر تطورات مرضه...

وما هي إلا لحظات حتى مر الطبيب فتبعه الكل يتساءلون عن صحة عادل فأأخبرهم بأنه سيبقى بضع ساعات و بعدها سيفكر في إعطاهم إذن خروجه...

وهكذا مرت الساعات بسرعة وبعدها أتي الطبيب ينادي لأمال ويخبرها أنها بإمكانها أن تخرج زوجها.

فرح الكل لسماعهم ذلك فقرروا أن يذهبوا كلهم سوية إلي منزل أمال،

دخل عادل لبيته الذي فارقه منذ أيام بينما كان يرقد في المستشفى ويتلقى العلاج، و صار يتأمل في بيته، فجاءت الذكريات القديمة هرولة تذكره بغياب ابنته، ففتح جرحه ثانية فجعل يبكي بشدة لفراقها له.

رأت امال ذلك في حزن كبير، فجعلت تخفف عنه وتطيب خاطره بكلمات جميلة فيها البعض من القوة وفيها البعض من التفاؤل وفيها البعض من الحب فسكت وجفف دموعه مبتسما بتكلف كبير..

وبينما الكل في غرفة المعيشة واذا بي نورة تطرق الباب بعنف كبير ففتحت فرح لها الباب، وحدقت في عيونها بذهول ثم قالت متسائلة:

- اهناك خطب ما يا نورة ؟..

فسكتت نورة هنيهة ثم قالت:

- لقد اتيت هنا كي اريك صورة دنيا، كتب مقال عنها في جريدة اليوم؛ لقد وجد أعوان الشرطة مكانها وكتبوا عنها في الجريدة لكي يطلعوا الكل بما وجدوا، هي الآن عندهم في حال يرثى لها..

لم يصبر الكل على فراقي يا مراد حتى أنت، أذكر أنك جئت رفقتهم لتراني وتتطمئن عني، فسررت كثيرا بذلك فلقد مرت تسعة أشهر على غيابي بسرعة وأنا أتهلف لسماع صوتك ورؤيتك تقف وتتحدث معي، تراني ألمتك بابتعادي عنك

أم لزالت مشاعرك جامدة ؟

ولزالت أنا فقط العاشقة الولهانة لك يا حبيبي..

دخل الكل إلي مكتب الشرطة لأجل رؤيتي فرأيتك تختبيء بينهم وهم يتسارعون لعناقي وتفقدي لشدة اشتياقهم لي

لكنك لبثت تراني من بعيد ولا تتحدث إلي ولم تسلم علي حتى

فأنت لم تأتي لرؤيتي لو لم يأتي بك أباك، لأنه صديق حميم لأبي..

حزنت كثيرا يومها لرؤيتي ذلك، لا أعلم ماذا فعلت لك كي أستحق ما فعلت،

هجرك وتجاهلك لي، لعلني ألمتك عندما اعترفت بحبي لك، تراني أخطات، أيعقل لو بقيت صامتة أدمن حبك في صمت أكنت ستبقى معي وتكون دائما بقربي أم تراه خيال يسكن ذاكرتي أنا فقط...؟

بعد إمضاء أبي لورقة خروجي من هناك ذهبت معهم للبيت كي أسترجع طاقتي الضائعة

وأعود لذلك العالم الذي كنت اهرب منه، فتعود أنت كعادتك في ذاكرتي ويعاودني الألم...

لقد كان يوم عودتي للبيت يوما حزينا أكثر مما ظننت ومؤلم جدا، فلقد التقيت بصاحب الألم، فكيف لي أن لا أتألم وأنا التي لطالما هربت منه .

حملت نفسي الحائرة وذهبت إلي غرفتي كي أنعم بالراحة لعلي أجدها، وألقي بجسدي الواشك على الهلاك، وإذا بي أسمع صوت أفراد عائلتي يدوي فذهبت لأنظر ما هناك، وإذا بي أسمع شخصا يقول لأبي لديك إتصال من محمد توفيق

فأرسلت أذني لسماعه جيدا وإذا به يقول له:

- مراد واقع في حب ابنتك،

فدهش أبي فور سماعه ذلك، فأجابه وفي ثغره ابتسامة كانت قد أنارت وجهه قائلا:

- من هي ؟أهي دنيا ؟

فأجابه محمد توفيق بلطف قائلا:لا يا عادل بل فرح، نعم هي فرح...

سر أبي لذلك وفور انقطاع الإتصال صار يقول بأعلى صوته:مراد توفيق يحب فرح ويريد أن يتزوجها يا امال...

فرحت أمي كثيرا عند سماعها ذلك الخبر، وصارت تعانق فرح كثيرا وتبارك لها وتقول لها متسائلة عن رأيها في الزواج:

- وجدت لك زوجا رائعا يا ابنتي، هل أنت موافقة ؟

لم تتمالك فرح نفسها وسرت كثيرا لسماعها ذلك وأجابت أمها ووجهها الجميل تسيل منه قطرات من الخجل قائلة: نعم يا امي، موافقة، مراد شاب رائع كيف أرفضه..

تراك اخترت يا مراد طريقة لدماري وللإنتقام مني، أهنئك فلقد نجحت بامتياز في دماري...

كيف سأراك في بيتي صهرا يا حبيبي وأنا التي جننت بحبك منذ سنين ؟

كيف سأقنع قلبي بنسيانك والتخلي عنك لأجل أختي، قول أرجوك يا مراد، أرجوك أخبرني....

حضر الجميع للإحتفال، بينما أنا كنت لازالت أذرف الدموع لفراقك ولتركك لي إلي الأبد، كم هو صعب هجرك يا حبيبي

كم هو مر مذاق الفراق...

كم هو حارق ألم الإشتياق لك يا حبيبي...

كم هو مميت ألم رؤيتك مع غيري....

كم هي أمر ساعات انتظاري لرؤيتك ولو بالصدفة.

أكاد أجن يا حبيبي بينما أنت لزالت تحتفل بفوزك بفرح....

اه ! لكم تمنيت لو لم أسكن حي القصبة ذلك اليوم

ولم أراك تلعب الكرة رفقة أصدقائك ولم نرتبط في علاقة

صداقة وحب من طرف واحد لكنت الان سعيدة وأنت كذلك....

حضر الكل للحفل على أكمل وجه وزينوا المنزل بالورود، والفرحة لا تفارق وجوههم.

وطهوا ما طاب و لذ من الأكل لأجل استقبال عائلة توفيق...

وقف الكل عند الباب لأجل انتظار عائلة توفيق، وبينما هم كذلك، حتى دخل مراد وأمه و أباه وأخوته، يحملون بقاتين من الورود وعلبا من الشكولاطة، التي اختارها مراد بنفسه مع خاتم الخطوبة.

جلس الكل يتجاذبون عبارات الإستقبال، يبحثون عن كلمات مناسبة لأجل الدخول في موضوعهم الذي أتوا من أجله..

سكت الجميع ولم يتحدثوا فقالت أم مراد صفية:

- أتعرفون يا عائلة عبد العزيز، لما نحن هنا؟، نحن جئنا لأجل طلب يد ابنتكم فرح لإبننا مراد، فلقد أحبها كثيرا، وكان كلما جاء رفقة دنيا، يأخذه الخيال بعيدا، فيخيل

إليه أنه زوجها، فلقد أغرم بها، حينها رأها تصلي، كانت حينها ترتدي حجاب الصلاة.

و أتى في يوم آخر يريد الحديث مع دنيا، فكانت فرح ذلك اليوم هي من فتحت له الباب، فذهل لجمالها وخلقها ولم تفارق خياله، وأخبرني ذلك اليوم بذلك فقلت له إصبر يا بني،

كنت سأتي لولا غياب دنيا عنا ومرض عادل، وها أنا اليوم أخطبها لإبني لعلكم توافقون يا عائلة عبد العزيز...

كنت لزلت اسمع امك تمدح فرح وتبتسم بكل سرور لمجيئها الينا، وكانت تمزق قلبي فلا أقدر أن أبعد نظري عنك انت لفرطي حبي لك..

كنت تقف حاملا خاتم من ذهب تدعو فرح اليك لتلبسه إياها فصفق لك الكل، وعندما انتهيت من فعل ذلك اخذتها لكي تجلسا سويا وتتبادلا الأحاديث.

كانت امهاتنا تزغردن بينما كانتا تجلبان أطباقا من الحلويات المتنوعة و قطعة كبيرة من الكيك كتبت عليها اسماءكما .

رأى اباك ذلك فصار يدعوك و في ثغره ابتسامة قائلا:

- قطع الكيك يا بني فهذه خطبتك، لا تخجل وأطعم خطيبتك، اطعمكما الله في كل حياتكم سعادة وهناء...

كانت الايام تمر بسرعة وانا بجانب عائلتي، نحضر لزفافك انت وفرح، كنت اكسر في اليوم الف مرة، وكانت الاشواق تخطفني في كل مرة أرى فيها فرح تجرب فساتين الزفاف، و في الوقت ذاته كنت اغار بشدة واتمنى قتلها لاضفر بك، فانا التي عشقتك اول مرة وانا التي شاركتها كل شيء، افراحك واحزانك، وانا التي عانقتها اول مرة عندما فزت في مبارياتك، وقاسمتها كل فوز وشغف، فكيف تتركني وتذهب إليها يا مراد..

المتني كثيرا لكنني كنت اسامحك كل مرة عندما كنت تزور فرح، وتاتي، لاخذها، كنت اقول في نفسي لعله يتركها فيخلو لي، كنت استقبلك كل يوم

وفي قلبي غصة، كنت أحدثك والدموع تسقي عيوني، فانا لم تاملني مرة فقط، بل المتني مرات عديدة، فكيف اغفر لك يا قطعة من قلبي، ارجوك، اجبني..

اه! لكم تألمت كثيرا عند سماع تلك الكلمات منك في ذالك اليوم لفرح بينما كنتما في غرفتها، عندما قلت لها بلطف:

- انا احبك يا فرح...

وردت هي عليك في خجل:

- وانا ايضا.

كنت اراك من وراء الباب واتخيل نفسي مكانها، استقبل كلماتك تلك وقلبي تتسارع نبضاته، لكم حلمت بذلك لكنني لم اكن خيارك ..

كانت الساعة تشير الي الرابعة صباحا تماما، والكل لا يزال نائما فهم متعبون لفرط تحضيرهم للزفاف، واليوم هو يوم الزفاف بالنسبة إليهم، أما أنا فهو يوم وداعي لك يا حبيبي...

نعم هو يوم وداعي لك يا أيها الحب الدفين، يا ذكريات الطفولة، ساودعك اليوم لتذهب الي حضن اخر، و تسكن قلب اخر.

ساودعك يا مراد لاتركك تعيش لحظاتك الجميلة مع حبيبتك فانا لم اكن خيارك، لكم تمنيت أن اموت قبل أن اراك عريسا وصهرا لي، فكيف يرضى القدر أن يعطيني شيء كهذا وانا التي لم تفعل شيء غير ذنب واحد وهو حبك، تراك تعذبني بتركك وهجرك، اه !

يقتلني الم فراقك يا حبيبي، اليوم سألبس فستانا كنت تحبه واضع كل شيء تحبه، لكي اكون الأميرة، كما كنت تراني يا حبيبي..

تبحث دنيا عن ذلك الفستان والدمع يسقي وجنتيها، ويكاد يغمى عليها من شدة الألم، تراه الحب والهجر، والفقدان من يدمرها، ويقطعها قلبها قطعا..

فانت تركت لي يا حبيب قلبي في كل زوايا الجامعة و المنزل ذكرى، فكيف سامح ذلك وانت قد صرت جزء من عائلتي....

كنت تعدني في كل مرة كنا نلتقي فيها سويا انا وانت اننا لن نفترق ابدا، لكنك اخلفت بوعدك وتركتني وحيدة وحزينة، اه ! يا حبيبي، اكاد اجن، لا اعرف ماذا افعل بحبك الذي تركته يدمرني في كل دقيقة آلالاف المرات...

اقف امام المرآة لاصفف شعري وطيفك يراقبني بتكلف ويبتسم لي، تراه يقول لي لن تستطيع هجري ولا الابتعاد عني فانا ساكون معك في كل دقيقة، ولن اكون بعيدا عنك لتذهبي مع غيري، مسحت دموعي عند رؤية طيفك وابتسمت لسماعي ذلك وكانني ولدت من جديد، لانك جعلتني أولد من جديد تراه طيفك من جعلني أولد من جديد ام انت يا حبيبي.

ذهب طيفك فجاة بعيدا عني، فاستقيظت من حلم اليقظة تلك لاخلو وحيدة كعادتي وحزينة أرثيك كعادتي لعلي اعطيك شيء مما كان لك و اودعك..

لكم كنت اتمنى لو التقيتك آخر مرة وارجعت لك كل ذكرياتك تلك ونزعت كل ذلك الحمل الثقيل الذي احمله في قلبي، لا ارتحت الان وصارت الحياة في عيوني افضل مما هي عليه الآن.

كنت اذرف الدموع في حضرت طيفك الذي لم يقل لي شيء جميلا بل، قال لي شيء اجمل، وبينما أنا كذلك حتى زار اذني صوت ضحكات مبعثرة كانت تأتي من خارج الغرفة، لم أكن بخير حينها، فقلب كياني بين الفرح والحزن.

الست من رثت حبيبها يوم زفافه، نعم انا هي، العاشقة التي رفض عشقها، وهجرت بسببه، ايعاقب الحبيب لفرط حبه لحبيبه ام يعاقب لأنه أعطاه من الحب اكثر مما يستحق، تراني يا مراد اعطيتك جرعة كبيرة من الحب فخيل اليك انها قد تقتلك اذا تجرعتها فرفضتها بشدة والمت قلبي.

أكنت ستقبل بحبي أن كان جرعة صغيرة، ام لم تهتم بالجرعة بل كانت تهمك صاحبتها، اه ! يا حبيبي, حبك لم يكن بالنسبة لي لحظات عابرة، بل لحظات في حياتي قد توقف الزمن عندها على السير، فانا في ذكراك اعيش طفولة ثانية ومراهقة ثانية، وارقص نفس الرقصات التي رقصتها معك، واعيد نفس الضحكات والابتسامات التي شاركتني إياها..

كانت امي تهتم بفرح كثيرا وانا في الجامعة، لكم كنت اغار منها، كانت تعاملها بلطف وتعلمها ابجديات المنزل ونظريات الزواج وكل شيء يخص العلاقات، لكم كنت اشعر بالوحدة، لكنك كنت تعوضني عندما التقيك، ففي كل مرة كنا نلتقي ونتحدث، كان القدر يرسم لي فرحة وسرور واطمئنان ولست اتذكر متى غضبت منك آخر مرة، وهل يغضب المحب من حبيبه، او يمل منه، ؟

قد نضجر من قساوة الظروف احيانا، ومن مرارة الحياة، لكننا رغم ذلك، لا ننسى ابدا من نحبهم لأنهم جزء منا.

لم امل منك ابدا، ولم اكرهك في ضعفك ابدا، كنت احبك في كل حالاتك واعشق الخطوات التي كنت تخطوها نحوي لفعل اي شيء لي، للمس يدي أو ابعاد اي شيء كان يقترب مني، لكم عشقت حركاتك تلك يا عزيزي..

تراني البس اليوم ذلك الفستان الابيض الذي كنت تحبه وتراني أميرة عندما البسه، تراني اصفف شعري كما تحب انت، واضع حمرة كنت تحبها انت، الست اودع ذكرياتك بطريقة تحبها ؟

تراني افكر فيما ستلبسه اليوم يا مراد لاجل فرح، وما ستهديه لها،

اه ! كم هو كليم التفكير فيك يا عزيزي...

كم هي مرة الحياة بدونك يا قطعة من قلبي...

كم هي مخيفة الوحدة في غيابك....

لكم يعذبني حبك يا عزيزي، اسالك بالله عليك كيف اصبر على ذلك ؟

وانت الذي كان يسقيني صبرا عندما كنت اشعر أنني بحاجة إلي تلك الجرعة من الصبر..

اخذت مني فرح كل شيء ولم يبقى لي شيء يا عزيزي، نعم لم تترك لي شيء غير ذكريات من الماضي، تعذبني في كل مرة اجتمع فيها مع طيفك...

كنت سأعطيك كل لعب الطفولة التي كنا نتشاركها انا وانت لكنك رفضتني وجعلت من حبي هراء وقلت انني مجرد اخت لك، كنا سنعيش الطفولة معا والمراهقة ايضا، لكنك أفسدت كل خططي في التقرب منك، وكانك لا تريدني ابدا في حياتك...

ها انا اودعك يا عزيزي والدموع تسقي وجنتايا وتذهب كل اثر حمرة وضعتها لاجلك، ويختفي كل الجمال الذي جعلته لاجلك .

لقد انتهيت يا قطعة من قلبي، نعم وها انا استعد للذهاب للحضور زفافك كاي شخص دعوته.

عندما أشارت الساعة الي السابعة صباحا، اسيقظت فرح وامي وباقي الضيوف الذين دعتهم امي لحضور الزفاف، فوجدتني كما وصفتني يا عزيزي كالأميرة انتظرهم، فجهزن أنفسهن وكل اللوازم الضرورية للزفاف من ألبسة وحلويات، ووضعنهن في السيارة وذهبنا سويا قاصدين صالة الزفاف، وحين دخلنا وجدتك يا مراد تلبس بدلة سوداء، كنت رفقة اخوتك واباك وامك، لكم شعرت بالاشتياق لك وانت امامي، دقات قلبي في رؤيتك صارت تتسارع وقلب كياني حزنا ولم ارى لوجودي اي داع فوضعت ما كان في يدي من هدايا و هممت لمغادرة المكان، لاستنشق هواء نقي علني انسى ما رأيته، كان الجو جميلا وكانت الساعة لزالت التاسعة صباحا، فجلست في الزواية استرجع ذكرياتك وأبكي في صمت لعلني اشفي جروحي، وبينما أنا كذلك، بزغت من بعيد فظننت انني كنت اتخيل ذلك، لم تصبر على فراقي فجئت لتتحدث معي، فسررت كثيرا لذلك، ووقفت احتراما لك لاستقبلك علني اودعك وارجع لك ذكرياتك وارتاح...

فلما اتيت صوبي صرت تحدق في عيوني وتبتسم كعادتك وتقول لي:

- اليس ذلك الفستان نفسه ..؟

فاجبتك:

- الازلت تذكره ؟

فاجبتني بلطف:

- وكيف لي أن انساه ؟

كنت تبتسم وانا احدق في عينيك البنيتين واحدق في كل شيء فيك،

كنت اودعك على طريقتي، وكنت كلما التقت عينانا معا اخفيت عنك بكل ما عندي من قوة لكي لا ترى حبي الكبير لك..

كانت الدموع اسيرة في عيوني تريد أن تتحرر، وكنت أرغب في البكاء كلما رمقتني بنظرة وابتسمت لي...

اه ! يا عزيزي كم كنت جميلا وانت تبتسم، لكم عشقت ابتسامة الوداع تلك،

لكم عشقت تلك اللحظات وكانني ساتركك الي الابد يا حبيبي...

كنت ساقول لك ما في قلبي لكنني كنت اعرف انك سترفض سماعي

وتوديعي، اليس انت من كان يكره الوداع منذ صغره لأنه كان يذكرك بموت اخيك محمد؟

نعم، يا عزيزي لحظات الوداع كانت تبكيك كلما رأيت شخصا

يودعك، كنت تجهش بالبكاء وتطلب منه أن يكف عن فعل ذلك لان ذلك كان يذكرك بموت اخيك وفقدانه الي الابد...

فكيف ارضى أن اراك يا عزيزي وانت تذرف الدموع وانا التي اعشق كل شيء يريحك وان طلبت مني حياتي كنت سافديك بها...

لما قلت اخر كلمة لي ناداك اباك لكي تذهب وتجتمع معه لاجل مناقشة تفاصيل تتعلق بزفافك، اه ! كم هو مؤلم أن اقنع قلبي بوداعك وانفصالي عنك الي الابد، كم هو مؤلم يا قطعة من قلبي الابتعاد عنك وتجنب نظراتك في كل مرة نلتقي فيها..

لكم قتلني الاشياق لضمك ولو لمرة واحدة لاجل وداعك ولاجل القيام بطقوس الابتعاد عنك في يوم زفافك، فانا لم اتي لاجل مقاسمتك الفرحة بل اتيت لارجاع كل شيء كان لك لكي ارتاح في حياتي كما تفعل انت.

انتظرت دخلوك بضع دقائق ثم تبعتك ودخلت واذا بي اراك رفقة فرح تحدق بها بكل حب وتبتسم وترمقني بنظرة لم افهم ماذا كنت تريد ان تقول لي من خلالها ايعقل انك كنت تودعني انت كذلك ام كنت تستحضر ذكرياتنا معا، وتحاول مسحها لترك مكان لذكرياتك الجديدة.

رغم كل ذلك يا عزيزي فقد كنت مسرورة لانك اعطيتني في تلك اللحظة شيء يخصك، لكم اشتقت لك يا حبيبي...

لكم قطعني الشوق اربا اربا....

لكم احسست وكانني اموت في الدقيقة الف مرة وانا اراك تلمس يد امرأة

أخرى وتقبلها وتعبر عن حبك لها...

كانت تلك اللحظات تسلبني كل شيء عقلي وقلبي وربما كل نسيم كنت استنشقه في تلك اللحظة.

مرت الساعات بسرعة يا عزيزي، وانتهيت من طقوس وداعك، وها انت تأخذ عروسك واخذ انا كلما يخصك هويتك، ذكرياتك، واترك النسخة الجديدة منك مع فرح...

تذهب سيارتك في سبيل حالها ونذهب نحن ايضا في سبيل حالنا، يمشي بنا القدر حيثما أراد يا عزيزي.

وصلنا انا وامي وكانت الساعة الواحدة ليلا نتفس الصعداء لا ندري ما نقول، كان التعب قد قضى على كل عضو في اجسامنا كان ينبض بالحياة،

غيرت انا ملابسي وقصدت غرفتي وتركت الآخرين يفعلون هم كذلك....

دخلت الغرفة وفي قلبي غصة ارثيك يا حبيبي علني انساك ولو للحظة،

فاشفى من كل داء سببه لي حبك...

تناولت جرعة من الدواء ورميت الجسم الضعيف على السرير ليرتاح من الم فراقك يا مراد...

نمت بسرعة في تلك اللحظة لأن جسدي تأثر بتلك الجرعة التي تناولتها لكن قلبي لم ينم و زارني طيفك في الحلم و صار يبتسم لي مرة ثانية وثالثة ورابعة، وقابلته باكية امسح بين الحين والاخرى ما بي من دموع وابعده عني كما ابعدتك آخر مرة، فيعود قائلا:

- لن اذهب، ولن اتركك يا دنيا، اليس انت من علمني ان الذكريات الماضية لا تذهب وتبقى معنا دائما مهما حدث....

رايت ذلك و اسيقظت في هلع، والدموع تسقي وجنتايا لقد كان ذلك حلما..

لست افهم يا مراد لماذا تعاقبني بهذه الطريقة وانا لم افعل لك شيء غير أنني احببتك...

كنت اجفف دموعي واتحدث مع نفسي والوم طيفك على فعلته تلك حتى أتت امي تحضنني بشدة وتسالني قائلة:

- ما بالك يا ابنتي ؟

ماذا جرى لك لماذا كنت تصرخين ؟

كانت امي تلمس وجهي وتعانقني بشدة لكي اخبرها، لكنني أنكرت

وقلت انني افتقدت لفرح لأنها اختي ولا املك غيرها، فهي كانت ترافقني دائما ولم أكن أشعر بالوحدة في وجودها..

فتاثرت امي لحديثي عن ذلك واجابتني وقد كان الدمع قد سقى وجنتاها:

- حسنا ! يا ابنتي سنزورها قريبا، اعرف انك اشتقت لها...

ثم غادرت الغرفة وهي تعدني بذلك بينما كنت انا ابتسم بتكلف كبير...

كلماتي تلك أثرت في امي كثيرا وجعلتها تفكر في زيارة فرح، فلما استيقظت في الصباح جعلت تحضر بعض الحاجات الضرورية للسفر الي تيبازة اين انتقلت فرح ومراد للعيش، وايقظتني فورا تحضيرها ذلك، واخبرت ابي فاجابها أنه هو ايضا يريد زيارة فرح وأنه قد اشتاق إليها كثيرا، فاشترى بعض الهدايا لها ولمراد ولعائلته وجعل يضعها في السيارة ثم نادى زوجته يقصد منزل ابنته...

وهكذا ذهبنا سويا نقصدك يا مراد، واخيرا وصلنا والكل مسرور بلقائه بك وب فرح التي افتقدها الكل في المنزل، فجعلوا يعانقونها بشدة وكأنهم لم يروها منذ سنوات، فوقفت انا ارى ذلك والغيرة تاكل قلبي اكلا، وبينما هم كذلك خطفتني بنظرة وابتسمت لي ربما لانك اشتقت لي مثلما اشتقت لك ام

لفرط خجلك من أفراد عائلتي ابتسمت، لكم كنت تبدو جميلا يا مراد، لكم اشتقت لك، ولكم كنت أتمنى أن العب دور الخادمة في بيتك فقط لاراك كل

يوم، كانت الأفكار تأخذني بين الحين والآخر اليك انت فقط يا مراد...

ظننتك لن تراني ابدا اتي اليك في زيارة كهذه ظننت أنك قد تنسى من انا لعلك تسترجع ذكرياتنا مثلما افعل يا مراد...

بينما الجميع يتحدثون كنا نتحدث انا وانت في صمت وكانت نظراتنا تسترجع ذكريات الماضي وتشتاق له بشدة، وكاننا نريد عيشه ثانية، اه ! لكم كنت مسرورة وانا احدق في عيونك يا حبيبي، بعد وداعك آخر مرة ظننت أنني لن ارى ابتسامتك ابدا، لكنني رايتها اخيرا...

كانت فرح تحضر القهوة لنا فاردت مساعدتها ليس رغبة في ذلك لكن رغبة في رؤية ذلك السرير الذي يجمعكما كل ليلة، دخلت المطبخ أراه باشتياق لان فيه رائحتك التي لا تختفي ابدا، كنت اتخيل مكانك المعتاد الذي كنت تجلس فيه كل يوم لارتشاف فنجان قهوة وتناول سيجارة قبل ذهابك للعمل، لكم شرح صدري لذلك.

كانت فرح تتحدث عنك وعن اخلاقك وعن معاملتك لها، وكنت انا ارى طيفك في كل زواية من زوايا المطبخ، وابتسم له والدموع الحبيسة في عيوني تبرق في داخلهما، تريد ان تنفجر وتتحرر..

كانت فرح مسرورة كثيرا لزواجها منك، ترتدي ثيابا غالية الثمن، كانت تبدو كملاك، لكم كنت اغار منها يا مراد، لقد كنت أرى حبك لها ودلعك واشتياقك

وكنت أشعر بكل شيء تفعله معها....

ذهبت فرح لتقديم القهوة لابي وامي بينما أنا ذهبت الي غرفة النوم اريد تحسس كل شيء يخصك يا عزيزي، دخلت ابكي كالعاشقة ضعيفة تارة وتارة اضحك لرؤية طيفك ينام فوق السرير ويدعوني للجلوس بجانبه، فحملت وسادة لا ادري إن كانت لك ام لفرح، وجعلت اقبلها بشدة وأبكي لفرط حزني على فراقك، اتعرف يا عزيزي لو تحدثت الوسادة يوما ما لا كانت اخبرتك بكل شيء عني:

- عن اشتياقي لك وعن المي من هجرك... الخ.

تركت الوسادة وفتحت الخزانة، واذا بي اجد ملابسكما، فاخرجت قطعة من ملابسك وجعلت اشتم رائحتك يا مراد..

اه ! لكم اشتقت لرائحتك يا مراد...

لكم حزنت كثيرا لشمها لقد ذكرتني بكل شيء فعلته معك، عناقك في كل مرة كنت تفوز أو تفرح لفعل شيء و كل شيء اسعدك.

كنت اشتم قطعة من ملابسك تلك بكل اشتياق، وكانني لن اراك ابدا

يا لي هذا الحب اللعين، حبيبي قريب مني لكنني لا استطيع لمسه ولا عناقه

لأنه ملك لشخص آخر، كانت الأفكار في ذهني تدور ولا اعرف ماذا عساي ان افعل جننت حقا عندما رأيت ملابسك يا عزيزي، فكل قطعة رايتها ذكرتني بك..

وفجأة ولفرط حبي لك جعلت اضع في حقيبتي قطعة من ملابسك لكي ارثيك في كل مرة اتذكرك فيها يا عزيزي...

اتدري ما هي القطعة التي أخذتها، هي ذلك القميص الابيض الذي كنت ترتديه

مع بنطلون الجنيس الازرق، لقد كنت احبه كثيرا عندما كنت ترتديه يا حبيبي.

وضعت تلك القطعة من القماش ومسحت دموعي و أرجعت كل شيء

في مكانه وتركت الغرفة وودعت طيفك وذهبت إلي غرفة الضيوف لاقنع الجميع انني بخير....

دخلت وفي ثغري ابتسامة قائلة:

- اتدري يا فرح بيتك جميل جدا، لا شك أن مراد قد انفق عليه الكثير من المال.

حدقت في عيون فرح بسرور واجابتني بلطف قائلة:

- نعم لقد أنفق عليه الكثير يا عزيزتي، حسنا تناولي القهوة، انا اشتقت لك كثيرا يا اختي، ساريك باقي الاشياء فيما بعد...

كنت ارتشف فنجان القهوة وانتظرك بشوق كبير وكانني لم اراك منذ قليل

تستقبلنا، لقد فهمت أشياء كثيرة اليوم يا حبيبي، كنت اجهلها عن الحب..

نعم أنا أعيش للاسف ما كنت أراه خيالا، لقد كنت ارى كل شيء كذبا وتصنع

وان الحياة هي اكتفاء مادي لا اكثر، لكن حبك جعلني ادرك انني كنت مخطئة وان كل شيء له علاقة بالحب وطريقة التعامل يا عزيزي..

عندما رايتك تتحدث مع فرح وتبتسم وفي عينيك لمعة حينها فقط عرفت انني لطالما رأيت كل شيء مختلفا وان كل ما في ذهني من أفكار عن الحياة لم يكن صحيحا، فحبك لفرح كان فقط لسبب واحد هو الاخلاق..

عندما أدركت ذلك يا مراد كان الوقت قد فات على تغيري من اجلك..

اليوم فقط عرفت لماذا لم تخترني واخترت فرح، نعم لأنها كانت بالنسبة لك امرأة مثالية يا مراد وكنت عندما تتحدث اليها ترى العالم الذي تريد في عينيها بينما أنا لم تكن ترى في غير شيء واحد فقط وهو ذكرياتك التي عشتها معي....

كنت شخصا بلا فائدة بالنسبة لك يا مراد تجعله يقضي معك وقتا

وترميه متى شئت انت...

اكملت آخر نقطة من القهوة في الفنجأن وخرجت لاستنشق هواءا نقي وافكر فيما سافعل...

لقد حاولت ايقاف دموعي لكنني ضعفت وبكيت عليك يا عزيزي رغم اكتشافي لحقيقتك الا انني سقطت ضحية لذكرياتك مرة ثانية.

قول لي ماذا سافعل إزاء ذلك وانت لزلت تسكن كل شيء في

عقلي وقلبي، لقد جننت حين رايتك قبل قليل رفقة اختي، هل تريد مني ان اموت ايضا من أجل أن تعيش سعيدا..

فانا لم اجد شيء لكي اهرب بعيدا عنك كما هربت آخر مرة،

كل شيء بي بدأ في الانكسار وصرت ضعيفة لاتخاذ اي قرار..

كنت امسح دموعي ولكن عيوني كانت تمطر ثانية وثالثة ورابعة من شدة الألم.

كنت افكر كثيرا لكنني لم اجد فكرة تبعدني عنك وبينما أنا كذلك

حتى سمعت صوت يردد خلفي قائلا:

- ماذا تفعلين هنا يا دنيا ؟

الم يعجبك الجلوس في الداخل ؟

لماذا تجلسين وحيدة هنا ا؟

اهناك شيء ما لا أعرفه ؟

كنت اسمع ذلك الصوت يكرر في أذني كل سؤال بلطف كبير وكنت اتمعنه وهو يتحدث، دون ان التفت إليه، وعندما انتهى التفت لاجيبه قائلة:

ليس هناك شيء يا صهري العزيز...

كانت أول مرة احدثك فيها بهذه الطريقة لاودع صداقتنا وحبنا

يا عزيزي وانفصل عنك بشكل نهائي...

اه ! يا حبيبي، اليوم فقط ستبدأ علاقة جديدة بيني وبينك تجردني من حبك الي الابد وتجعلني اختفي من حياتك الي الابد ..

لكم كان قاسيا ذلك علي يا مراد، لكم احسست بروحك تغادرني للحظة و كانك

لن تزورني حتى بالخطأ في احلامي..

سمعت مني تلك الكلمات وابتسمت ساخرا مني وفجأة قلت لي:

- جميلة هي كلمة صهري منك يا دنيا...

ارايت كم كنت عادلا في عدم قبول حبك، حتى القدر اختارك لكي تكون اختا لزوجتي وليس اكثر من ذلك...

قلت لي ذلك يا مراد فجرحت مرة ثانية ولم أجد دواء لجرحي تلك فسكت

واعلنت الاستسلام...

تركتك تجلس وحدك أمام النافورة ودخلت لانضم الي امي وفرح علني انسى ما قلت لي يا مراد...

كيف ابقى معك وانت لم تراني غير اخت لك تشفق عليها وتحن عليها فقط لأنها اختك، وتحبها حب الواجب...

عندما دخلت وجدت امي تتحدث مع فرح، كانت مسرورة للغاية لانها ترى ابنتها متزوجة بعدما كانت تحلم بذلك منذ زمن طويل..

لم يعجبني ذلك التصرف من امي ابدا كنت اغار بشدة من فرح، فهي سرقت مني كل شيء، امي ومراد ولم تترك لي غير الالم...

فجعلت اخرب ذلك الجو واقول لامي:

- انا مريضة يا امي دعينا نذهب الي المنزل...

كانت فرح تراقب ما اقول بدهشة وتقول لي:

- ماذا جرى لك فجأة، كنتي مرتاحة ومسرورة، ماذا جرى لك فجأة؟..

كنت اغطي وجهي بيدي من شدة قلقي، اخاف أن تكتشف حبك يا مراد

وتعرف انني من انافسها في حبك، فجعلت اخترق اكاذيبا لكي اذهب واغادر منزلك...

كانت تلك الأعذار التي قلتها مقنعة فتركتنا فرح نغادر منزلك، وغادرت وفي قلبي حزن كبير...

رجعت يا حبيبي الي المنزل لكي اخلو بحبك وذكرياتك و افكر في شيء ازاءها علني ارتاح منها، و يذهب الالم الذي لزال ياكلني في الدقيقة الف مرة..

جلبت دفترا وقلما اريد أن اقتلك بالكلمات علني اقدر، لكن القلم رفض أن يكتب عنك وتركني كما تركتني انت يا عزيزي...

اترى يا حبيبي حتى الدفتر رفض أن يقاسمني ذكرياتك والمك الذي سببته لي...

ترى كيف تستطيع ان تهزمني في كل مرة اريد نسيانك فيها...

ترى لما تجعل مني ضحية لحبك في كل مرة اتذكرك فيها...

ترى لما تقتلني في يقظتي وفي احلامي الف مرة وتذهب بعيدا وكأن شيء لم يحدث لانك فقط وجدت عذرا مقبولا لفعلتك...

ترى لما تسخر من حبي لك وتعذبني في غيابك ذكرياتك...

هل تنتقم من امرأة وهبت لك الماضي والحاضر وجعلتهما كالليل والنهار معا لا ينفصلان...

ايعجبك الحب البريء الخالي من الجنون ومن المغامرات...

اه ! يا حبيبي، لم افهمك ابدا...

لم اعرف من انت الان تغيرت كثيرا آخر مرة التقيتك فيها

كنت شخصا جديدا لا أعرفه، ايعقل أن فرح غيرتك كثيرا لتلك الدرجة ان جعلت منك شخصا يسخر من حب كان له من دون مقابل....

ليتك تعرف يوما وتفهم كم احببتك وكم تعب قلبي لتحمل سخريتك وتعذيبك لي في كل مرة التقيك فيها...

كانت وجنتاك عندما التقينا حمراوتين، تظهر فيهما لمعة جميلة، ايعقل أن تكون بسبب حبك لفرح....

اه ! لو لم اعرف الحب لكنت قلت انك خجلت لكنك لم تخجل يوما من تعبيرك لفرح بالحب أمام العائلة فكيف تخجل وانت تسدد لي ضربات الجزاء لقاء حبي لك..

لكم كنت غبية وانا اذرف الدموع في كل مرة التقيك فيها...

كنت اظن أن ذلك حب لكنه ادمان ليس أكثر، وصار جنونا بعد فترة من الزمن لأنني كنت اكتمه في قلبي..

فالحب حقيقة أيضا إن لم تثبت اصبح جنونا وهوسا يقتل المحب، ربما قتلا وهميا فيرى محبوبه ولا يراه غيره وربما قتلا حقيقيا فيدفن في مقبرة العشاق ويخلد ذكراه كلما تذكره محبوبه...

هكذا هو الحب اما أن تربح فتخلد في جنة الخلد وترقد كل يوم بجانب ملاك لا ترى منه إلا البياض والنور وإما أن تخسر فترى منه إلا السواد والحزن وترقد على وسادة الندم والحسرة....

فاختر يا عزيزي ما نتيجة حبك، هل ربح ام خسر ؟ هل مات ام لزال حيا يرى ذكرياته ويخلدها لهبها القليل من العظمة لعلها تصبح عظيمة في وجه كل من يراها...

اتذكر عندما سالتك اول مرة عن الحب يا مراد حينها استغربت لسؤالي فقلت مجيبا على سؤالي:

- الحب كلمة لا وجود لها في قاموسي الان يا عزيزتي، فاما حبي هو العمل فقط وهوايتي جمع المال لاعيش كالامير...

صدقتك حين قلت ذلك، ولم أكن أعرف انك تكذب في قولك ذلك فقد كنت تبتسم بشدة وترى ما كنت اقول شيء مبالغا فيه ليس إلا...

لكنني كنت اجيبك في كل مرة واقول لك:

- لكنك ستحب وستسعد بذلك يوما ما، كان وقع ابتسامتك علي في ذلك اليوم أكثر قسوة، كنت اريد أن أبدو أكثر قوة أمامك لكنني ضعفت...

وها قد أتى هذا اليوم يا مراد، قد احببت امرأة وتزوجت منها ..

الحب لا ينتظر يا مراد، هو ضيف غير مدعو يأتي صدفة، لكننا نفرح ونسعد لمجيبه لأننا لا لانرتاح ولا نسعد من دونه..

كنا لزلنا براعم عندما توفي اخوك محمد، كنت تبكي بشدة لفراقه، وكنت اقول لك حينها لا تقلق يا مراد، فان الله ياخذ أشخاصا من حياتنا لكي يعوضنا باشخاص آخرين..

قلت لي حينها:

- اه !صحيح ما تقولين يا دنيا، فقلت لك حينها:

- نعم..

فاضفت قائلا:

- ومتى يأتي من سيعوضني عن محمد...

فابتسمت وقلت لك:

- لا ادري لكن الله لا ينسى عبدا ويعوضه في الوقت المناسب، فابتسم يا مراد...

وها انت الان ترى ما قلت لقد عوضك الله عنه فاعطاك زوجة صالحة ومحبة..

اتعرف يا حبيبي، لم اعد اتذوق الاكل كما كنت افعل، وابتسم كما كنت افعل ولا اعبر عن مشاعري كما كنت افعل، وكانك اخذت كل شيء ولم تترك غير نسخة مزيفة مني ...

بدأت انت في التاقلم مع حياتك الجديدة وبدأت انا في نسيانك يا عزيزي رغما عني، وأصبح الكل منا لديه حياة مختلفة، ومرت الايام بسرعة،

وفرح الان تحضر لاستقبال مولودها الأول، وانت سعيد للغاية لذلك

نحضر انا وامي كل يوم ما تحتاجه فرح فازداد انا الما، ويزداد الماضي في تعذيبي في كل مرة أحضر فيها تلك الحاجات من ملبس وماكل للام والطفل،

كنت أتساءل في داخلي:كيف اقابلك انت وفرح وتلك النسخة عنكما التي تمثل ثمرة حبكما، لكم كان يالموني ذلك، فكانت الدموع تسقي وجنتاي كل مرة اتحدث عنك وعن فرح...

لقد المتني كثيرا يا مراد، وقتلت دنيا القديمة لتضفر بدنيا الجديدة الضعيفة التي لا حول ولا قوة لها...

كنت في المطبخ أحضر مع امي بعض الاوكلات التي تناسب مناسبتنا القادمة، وفجاة جاءت نورة تطرق الباب ففتحت لها ودعوتها للدخول، فدخلت والإبتسامة تملىء ثغرها فاصطردت قائلة:

- كيف حالك يا صديقتي، لم اراك منذ زمن طويل..

ثم أضافت قائلة:

- ترى ماذا جرى في غيابي ؟

فاجبتها قائلة:

- ليس هناك شيء يا نورة.

فقالت لي تريد اكتشاف ما اخفي عنها:

- انا صديقتك يا دنيا اتخفين عني، اعرف انك تخفين عني شيء، هيا اخبريني..

كنت سابكي من شدة حزني على كل شيء حدث بيني وبينك لكنني اردت ان ابدو قوية أمام نورة لأنها صديقتك..

ثم قلت وفي قلبي غصة:

- اسمعي يا نورة، لقد قابلت مراد عندما ذهبت في زيارة لهم، لقد كان قاسيا جدا معي...

فاجابتني نورة في دهشة:

- ماذا قال لك ؟

فاصطردت قائلة:

- ليس بشيء مهم يا نورة،دعينا نتحدث عنك ماذا جلبتلي من تونس ؟

الم تقضي عطلة الصيف هناك ؟

ابتسمت نورة وامسكت يدي تريد تهدئتي قائلة؛

- بالتأكيد فعلت...

ثم أدخلت يدها في حقيبتها واعطتني علبة صغيرة...

لقد سررت كثيرا حينها لرؤية نورة في هذه الفترة، فجعلت اعانقها وفي قلبي حزن كبير ودموعي تفيض كالسيول....

لكم كان عناق نورة لي مريحا، فقد كانت شخصا يحمل البعض من ذكرياتنا.

بعدما انتهينا من التحضرات التي تخص المناسبة، حضرنا القليل من الشاي الاخضر وبعض الفطائر وذهبنا سويا انا و نورة لعلها تساعدني في التخلص من تلك الهموم التي تتعب كياني....

فجعلنا نقلب دفاترا قديمة نضحك تارة وتارة نبكي لفرط تاثرنا بها، كنت اتذكرك بين الحين والاخر، لم تغادر ذاكرتي ابدا رغم غضبي منك

لكم جربت نورة أن تجعلني انساك واترك حبي لك جانبا، ولكنني ضللت متمسكة بحبك، كيف أفعل، وانت أصبحت فردا من عائلتي..

وها انت تصبح شخصا مهما لديهم أكثر فأكثر،

اذكر اخر مرة لما ذهبت الي الجامعة لاحضار بعض الاوراق التي تخص تخرجي، كنت اجلس في ذلك المكان الذي كنا نلتقي فيه انا وانت ونتناول وجبة خفيفة سويا ونتبادل

أطراف الحديث معا، ونضحك لرؤيتنا لشيء يثير ضحكنا ونحزن ونبكي سويا، ونغني عندما تكون كل امورنا حسنة، أتأمل ذكرياتنا معا وابتسم تارة وتارة ابكي لفرطي حبي لك، فاتت نورة رفقة شاب جميل، تريد تعريفي عليه..

تقرب الشاب قليلا مني يريد أن يسلم علي، و في ثغره ابتسامة،

يحدق في عيوني وكأنه يعرفني جيدا، فسلمت عليه مرحبة قائلة: مرحبا كيف حالك ؟

فأجابني قائلا: بخير يا دنيا وانت.؟

فقلت له في دهشة: الحمد لله، اتعرفني ؟

فقال لي حينها أنه يعرفك انت، وقد رانا سويا في يوم من الايام ..

كان الشاب المدعو سليم يتحدث عنك طوال الوقت، ويمدح صداقتكما..

لما انهينا حديثنا ذلك غادرت المكان اتذكر ما قال لي سليم عنك، فجعلت ذكرياتك تعذبني مرة أخرى وصار الاشتياق للقياك يؤلمني بشدة...

عندما تحدث سليم عنك خطرت ببالي افكار كثيرة عنك ربما نسيت كل شيء فعلته المرة الماضية، لا اعرف لكنني كنت اشتاق لك في كل كلمة كان كان يقولها سليم وهو يمدحك، كانت كل كلمة تذكرني بك وكاننا لم ننفصل

ولزلنا مع بعضنا..

تراه القدر من يجعلني اتذكرك يا مراد ولا انساك ابدا، كلما حاولت الابتعاد عنك أجد شخصا يذكرني بك...

ارجوك افعل شيء ينسيني عذاب حبك يا حبيبي وذكرياتك المؤلمة...

اترضى أن أعيش بلا روح وبلا قلب؟

ام تريد الانتقام وانا التي لم انم منذ ذهبت وهجرتني وبدلتني بإمرأة أخرى ؟

كنت أتساءل حتى أتى طيفك وصار يرمقمني بابتسامة ويغازلني بكلمات بت لا افهمها..

ففجئت لرؤيته وبادلته نفس الابتسامة ثم قلت له:

- ماذا تريد مني ؟

الم تأخذ كل شيء قلبي وعقلي وروحي ؟ كل شيء صار لك.

فاقترب مني يريد الهمس في اذني وقال:

- الا ترين ما اريد أن افعل ؟

اريد ان ابقى الي الابد في عقلك واسلبك كل شيء، ثم جعل يبتسم مطولا...

لقد أثار ذلك غضبي فدفعته عني ثم قلت له:

- ابتعد عني ايها المحتال، ابتعد لماذا تأتي دائما لكي تزعجني ؟

ولما انهيت كلامي وصراخي تلك استيقظت في هلع فوجدت امي بجانبي تمسك بيدي وتلمسني بلطف وتقول لي:

اهديء يا ابنتي كل شيء سيكون بخير...

لا تقلقي ابدا، هذا مجرد كابوس..

ولما ذهبت امي جعلت ابحث عن طيفك تلك فوجدته ثانية أمام

النافذة يبتسم بسخرية ويقول لي:

- ا ظننتي انني ساتركك وشانك ؟

لن اتركك ابدا...

فتركته يقول ما لديه وذهبت لاغير ملابسي واذهب الي العمل، لعل ذلك ينسيني ما كان يزعجني...

لطالما حلمنا يا مراد أن نعمل معا في مجال السياحة اتذكر ذلك، عندما كنا نذهب الي القصبة ونرى تلك المناظر الجميلة وتلك المباني القديمة، فلكم كنا نحلم برؤية كل شيء قديم والاستمتاع بنظرته وأخذ صور له لتذكره...

لكننا انفصلنا وكل منا درس منفردا بعد ذلك، غيرت انت التخصص بسببي ودرست اقتصاد لكي تعمل في البنك وتابعت انا دراستي في مجال السياحة وها أنا أعمل سكرتيرة في وكالة سياحية في العاصمة..

كنت صغيرا لا تدري ما تقول، تبتسم كثيرا وتحلم بذلك لكن القدر أفسد كل شيء فيك وصرت تضحك بتكلف وتقسو في الحديث وتهجر من تحب، كم هي جميلة الطفولة يا عزيزي، اه ! اتمنى لو كان بوسعي الرجوع الي تلك الأيام لاسترجاع نسختك ومسح هذه النسخة التي سلبت مني كل شيء وسجنتني في قفص الحب والجنون حتى وجدت نفسي أتساءل في اليوم الآلاف المرات « من اكون».

انهيت ما بيدي من عمل في ذلك المكتب وهممت بالمغادرة علني ارتاح

جسدا وروحا، فذهبت الي البيت وفورا دخولي رأيت امي تحمل اكياسا تريد وضعها في سيارة ابي وفي ثغرها ابتسامة، فسررت بذلك، كنت احس بضيق في صدري فقلت لها:

- اترغبين في الذهاب يا امي الي مكان ما ؟

فاجابتني قائلة:

- نعم يا ابنتي، سنذهب لزيارة اختك، لقد انجبت ولدا وهي الآن في بيتها، اريد أن اطمئن عليها واحتفل بمجيء حفيدي يا دنيا...

فصدمت بذلك الخبر وكاد يغمى علي من دهشتي، ثم تمالكت نفسي، وذهبت مسرعة اجفف دموعي، واصبر نفسي على ذلك الالم، وخيبة الامل التي أشعر بها في تلك اللحظة.

ولما خفت ان اهوى أرضا جلست اجفف دموعي واتحدث مع نفسي واقول: اه ! يا مراد لقد رزقت بطفل، وصار لديك ثمار لحبك، نعم يا حبيبي،

لا شك انك سعيد للغاية يا عزيزي.

لم اكن اعرف شيء عن ابنك يا مراد، فصرت ابكي لفرط تاثري بذلك الخبر، واكل قلبي الفضول، ورغبت أن اراك وارى نسختك الأصلية أو بالأحرى نسختكما...

غادرنا البيت انا وامي يا مراد ولم يكن في قلبي غير الالم، ولا ادري كيف كنت أشعر باخيبة املي فيك ام بحزني على فراقك عني الي الابد ام لفرط فضولي لرؤية نسختكما التي جاءت إلى العالم لي تقول له انكما تحباني بعضكما..

جلسنا سويا نتحدث، وفي ثغر كل واحدة منا ابتسامة، لكنني يا عزيزي كنت من بين كل واحدة منهن انتظرك بشوق كبير لعلى ذلك يشفيني من مرض صار يتعبني في الليل وفي النهار.

وما هي إلا لحظات حتى سمعت فرح خطواتك فرجتني كي افتح الباب لك واستقبلك لأنها كانت ترقد في فراشها بسبب مرضها..فاستقبلتك ودخلت ترمقني بنظرات لا اعرف ماذا تريد من خلالها وفجأة قلت لي تريد السؤال عن حالي:

- مرحبا ,يا دنيا كيف حالك ؟

فاجبتك:

- بخير يا مراد..

ثم دخلت وسلمت على فرح وعلى الجميع، اباك وابي، واستقبلت هدايا منهم، ثم جئت للمطبخ فوجدتني أحضر لك فطورا فجلست و في فمك كلمات تريد قولها، فقلت لي في تكلف:

- حضر لي فطورا رائعا يا دنيا، ثم ابتسمت ساخرا، وأضفت قائلا:

- أعرف انك لا تجدين الطبخ...

فابتسمت انا ايضا في تكلف وقلت لك:

- لاباس سافعل...

كنت مسرورا لمجيء ولدك وثمرة حبك وكنت غاضبة منك، وحزينة لفراقك عني في كل دقيقة، فكيف تريدني أن ابتسم لك واسر لاجلك وانت لم تتقبلني اول مرة وجعلت مني ذكرى عابرة ؟

لكم تمنيت لو كان ذلك المولود مني وليس من فرح، وكنا مع بعض لكنك أفسدت كل شيء وجعلت من حبي مسخرة وهجرتني..

تركتك تتناول وجبتك تلك وذهبت إلي فرح اريد الاطمئنان عنها لعلها تقتنع بذلك..

ولما فعلت ذلك خرجت للجلوس عند النافورة اريد أن ألقي ما بي من هموم وفجلست وفي قلبي غصة وجعلت استرجع ذكرياتك تارة و ابتسم وتارة ابكي لفرط اشتياقي لك فتجرني ريح الحب فابكي في صمت واجفف دموعي بسرعة، وادخل مسرعة الي الداخل، لعلك تقتنع بعدم اهتمامي بما تقول وبما تفعل...

كنت أشعر بضيق كبير في داخلي لعله بسببك، واردت مغادرة بيتك لكن امي منعتني ..

كنت تتناول غداءك فسمعتني اتحدث مع امي عن مغادرتي للمنزلك، فقلت لي ساخرا:

- تريد مغادرة البيت لأنها لا تجيد فعل شيء يا امي...

اعرف انها لا تعرف شيء غير الغضب من الآخرين...

كنت تبتسم وترمقني بنظرات غريبة، ككل مرة تغضبني بحديثك تلك لاحدق في عيونك في صمت وفي قلبي غضب كبير اريد أن أخرجه لكنني عاجزة على ذلك، لعلك تعرف بذلك لذلك انت تغضبني بحديثك كل مرة تجتمع بي،

ترى لماذا انتم الرجال تحبون اغضاب كل امراة تحبكم ؟

اتحبون ملامح الغضب ام المرأة نفسها عندما تغضب ؟

فنحن عندما نحبكم تصبح الواحدة منا غبية ولا تعرف ما تفعل غير البكاء أو الحسرة على اشياء حدثت لها ولم تستطع أن تنساها.

كنت احدثك في صمت واريد تفجير كل غضبي فيك، لكنك كنت تحدق بي وتبتسم وكانك تقول لي انك انتصرت علي في جعلي اغضب منك..

تخال نفسك ذكي بفعلتك تلك يا مراد ؟

نعم انت ذكي لكنك لست بذلك الذكاء الذي تراه، بل انت محتال ومخادع، جعلت مني ذكرى عابرة، وها انت الان تعذبني بهذه الطريقة...

كنت احاول الهرب منك ومن ذلك الحب الذي اكنه لك، كان لهيب الاشتياق للمسك يحرقني، فكنت كلما التقت نظراتنا يزيد اللهيب في حرقي فلا اقدر واعود الي الوراء، لقد كنت واثقة انني ساخسر خسرانا شديد امامك،لانك تكن مشاعرا لامرأة غيري فلن تقوى ابدا عل مبادلتي نفس الشعور، وكنت كلما حدقت بعينيك ووجدت ذلك احمرت عينيا وسالت دموع غزيرة ملئت وجنتايا فصرت متعبة كثيرا...

انا احبك بشدة يا مراد لكن قلبك ليس ملكا لي، وها انت تنتقم مني لانك تعرف انني لم انساك ابدا...

كيف تخونني يا مراد وانت تعرف بحبي لك، تدمرني نظراتك لها، ابتسامتك لها، عناقك لها، نسيمك االدافيء وانت اقرب منها...

لكم تعذبت عندما رأيت غرفة نومك يا حبيبي...

لكم قتلني وداعك، لكنك تراني الان ذكرى عابرة وشخصا تريد الانتقام منه...

لم استطع البقاء بجانبك وبجانب فرح وامي فقررت أن اذهب الي المنزل مع أبي وادعيت انني مريضة، وبأن بطني يالمني فذهبت وقلبي ينبض بسرعة

لا اعرف ماذا افعل.. هل انساك لانك الان مع غيري..

ام احاول استعادتك بطريقة تجعلنني ارجعك ثانية لي...

ام اودعك الي الابد واذهب بعيدا عنك وعن كل عائلتي...

حبك يعذبني يا مراد في اليوم الف مرة..

انا احس انني أسيرة في سجنك فكيف احرر نفسي منك وانت من سجنني وجعلني اقع في حبه من أول مرة التقينا فيها سويا..

خرجت من منزلك يا مراد وفي قلبي غصة لا اعرف كيف ساخرج ما بداخلي من احاسيس لزالت تسكن في قلبي، لزالت تعذبني وتالمني كثيرا حين اراك

مع فرح، اشعر انني سأموت قهرا، فلا استطيع ان اتحمل ذلك الحمل الثقيل الذي سببه لي هجرك، كنت ساكون سعيدة معك لو قبلتني في حياتك

كنا سنعيد ذكرياتنا سويا كلما شعرنا بالملل وبضجر، كنا سنلعب عندما نمل ونصنع السعادة معا، ونشعر بالالام بعضنا معا ونتقاسم كل شيء مع بعض، لم تكن لتكدرنا الحياة، و لا كنا سنتضايق من بعضنا، كنا سنكون

روحا واحدة وليس روحين منفصلين مثل الان، لكم اشتاق لك عندما اراك وكانني اراك لأول مرة وانا اراك للمرة الألف، شعوري لك يا عزيزي لم يتغير البتة، كنت ساقول لك ذلك لكن الحب بالنسبة لك مجرد هراء و لحظة عابرة

فانت احببت فرح في الوقت الخطأ، عندما كنت احبك واريدك معي، فحطمت كل شيء بنيته وجعلت من ذلك مكان للصدمات وخيبات الامل

اتعرف يا مراد، الكل يكره كلمة «الماضي» لكنني صرت احبها بسببك انت فقط لأنني كلما تذكرتك صارت حياتي اجمل وزارتني السعادة والفرح، لأنني عندما اتذكرك ادخل عالما يسكنه النور فأصبح فيه شخصا لا يعرف الملل أو الضجر من اي شيء وادمن النظر في طيفك فقط و وكانني امارس طقوس الحب بطريقتي الخاصة، وهل هناك شيء اجمل من أن احدق في عيونك ؟

بحثت كثيرا لكن عيونك انت يا عزيزي ليس هناك شيء يشبهها في العالم كله

تغنيني عن كل شيء في هذا العالم، يتوقف الزمن عندما احدق فيها واسكن عالما جميلا لا يوجد فيه سوا انا وانت...

وصلنا اخيرا الي منزلي ودخلنا انا وامي وابي، فذهبت مسرعة الي غرفتي، لا اعرف ماذا جرى لي، لكنني كنت مرهقة من كل شيء حدث لي اليوم

وانا في منزلك يا مراد، وكانت الآلام قد زارتني كلها عندما ابتعدت عني وجعلتني اشتاق اليك في اليوم اشياقا لم أعرف مثله...

خلعت ملابسي والدمع يسقي وجنتاي كانت كلماتك التي قلتلها لي تعاد في اذني، فجعلت ابكي من شدة تاثري بذلك، وابتسم من فرطي حبي لك وافعل الشيء ذاته لطيفك كلما وقف امامي يحدق بي، لا اعلم لماذا ياتيني طيفك كل مرة اجلس فيها وحيدة ويبتسم لي، فيعذبني ويجعلني ابكي بشدة لفرطي اشتياقي للمسه، وفجأة يحملني الفضول فاتي مسرعة للمس طيفك فتختفي وفي ثغرك ابتسامة..

كم يالمني اختفاء طيفك يا عزيزي، كم كنت اتمنى لو تكون معي ولو لبرهة ولكنك ذهبت دون رجعة يا مراد لكن ذكرياتك لزالت خالدة في هذا البيت، عندما اجلس وحيدة يجلس معي طيفك ويعذبني، وعندما اخرج الي الشارع، تعذبني ذكرياتك فاشم رائحتك في كل الزوايا التي اجلس فيها، واتخيل وجودك بها...

احاول لملمة ما تبعثر في ذاكرتي يا مراد لكنني لا أقدر على ذلك فإنك لم تسكن فقط ذاكرتي وانما سكنت روحي ايضا، تراك تلبسني روحا وجسدا، وهل هذا حب ام وهم وخيال ؟

اجبني، كيف اخرج من سجنك يا ايها السجان ؟

كيف اقاوم كدمات حبك يا حبيبي؟

كيف احرر نفسي من ذكرياتك التي تعذبني في اليوم الف مرة ؟

كيف اهرب من طيفك الذي يلاحقني في الليل وفي النهار؟

كيف افعل ذلك، فانا لم اعد اطيق ذلك...

تراه حبك يقتلني في اليوم الآلاف المرات فلا اكاد اعرف ما افعل وقرار هجرك والابتعاد عنك قرار يماثل انتحاري والابتعاد عن عالمي، لا ادري كيف ابتعد عنك وانا التي ربطت نفسها بك منذ زمن طويل، حتى صرت جزءا مهما جدا في حياتي، فصارت ذكرياتك ادمان رغم كل الحرمان والهجر الذي تجرعت كاسه الا انني لازلت أرى نفسي جزءا منك، فانا لا استطيع ان انساك وان أجبرت على ذلك..

ترى لماذا من يهجرنا ويبتعد عنا ويؤذينا لا نستطيع نسيانه ؟

ترى لماذا خلد اسمك يا حبيبي في كل شيء في عقلي وقلبي

وسكن عالمي ولم أستطع نسيانه البتة ؟

تشير الساعة الان الي الثانية ليلا لكن دنيا، لزالت تفكر في حبيبها وقلبها الذي اهلكته الصدمات لزال ينزف ويتألم.

وبعد صراع كبير مع الأفكار وطول التفكير نامت دنيا متعبة ومرهقة لا تعرف للراحة طعما ولا تستطيع أن تعيش كباقي الناس حياة لا تكدرها الآلام ولا خيبات الامل..

جرحها كبير لا يشفيه الطبيب ولا شخص آخر إلا النسيان، وان استطاعت، فهي تذكر اسم مراد حتى في احلامها و فكيف تنساه وهي من تدمن حبه ولا ترى غيره رغم فراقه عنها ورغم أنها تعرف أن في حياته امرأة..

تمر ساعات الليل على دنيا بسرعة ولا يكاد الصباح يفتح عينيه حتى تستيقظ في فزع تصرخ باعلى صوت قائلة:

- مراد، مراد انتظر لا تتركني..

لا تتركني ارجوك..

لا استطيع أن أعيش من دونك يا حبيبي..؟

ترى من يبادلني الفرح ؟

من ؟

وما كادت تنتهي الأخيرة حتى اسيقظت الام امال على صراخ ابنتها فذهبت هرولة الي غرفة ابنتها لي تتطمن عليها، فدخلت مسرعة لتفقدها واذا بالعرق يتصبب في وجهها ورقبتها، فجعلت تقظها بلطف قائلة:

- استيقظ يا حبيبتي، ما بك ؟

وتحسست جسمها لكي تعرف ما بها، قائلة:

- هل انت مريضة يا بنيتي ؟

اجيبي..

وبعد محاولات كثيرة لامال استيقظت دنيا في فزع فوجدت امها بجانبها، فايقنت انها سمعت حديثها كاملا، فاستغربت الام من سماعها ذلك الحديث الذي صدر من دنيا وهي نائمة فجعلت تسالها قائلة:

- من هو مراد هذا الذي كنتي تحلمين به وترددين اسمه ؟

فسكتت دنيا والخجل يقتلها لا تعرف ماذا ستقول لامها لكي تسكت اناها الذي قتله الفضول، ثم اجابتها بكلمات متقطعة:

- مراد...مراد..

وطاطأت رأسها في خجل، ففهمت الام أن مراد الذي كانت تردد اسمه هو مراد توفيق، فقالت لابنتها:

- اسمعي يا ابنتي انت لزلت تحبينه وهذا خطأ كبير في حق اختك يا ابنتي، هذا زوج اختك، لا يمكنك فعل ذلك سيكون بمثابة خيانة في حق اختك، يجب أن تحاولي نسيانه والابتعاد عنه..

افهمتي يا بنيتي، لم يبقى لك اي فرصة لإعادته لقد صار صهرا لكي الان..

سكت وفي قلبي غصة، لا اعرف كيف اجيب امي يا مراد لقد أصبحت هوسا بالنسبة لي، لا استطيع نسيانك البتة.

ترى ماذا فعلت لي لكي أصبح عاشقة ضعيفة، وحيدة لا تعرف كيف تقاوم فشلها في اصطيادك واقناعك، خسارة كبيرة سببتها لي عندما هجرتني

كنت ابكي بشدة وفي داخلي غصة بعدما غادرت امي غرفتي، لكنني لم انجح ابدا في الابتعاد عن ذلك الادمان الذي سببته لي، وصارت الأفكار التي في عقلي تذهب كما تفعل الريح بحبات الطلع، لا ادري ماذا اصنع حتى رن هاتفي، فحملته وفي قلبي حزن كبير مما يحدث معي، رايت شاشته واذا بي نورة صديقتي تتصل بي، فكبست زر قبول اتصالها وأجبت قائلة:

- اهلا يا نورة، كيف حالك ؟

فاجابتني قائلة:

- انا بخير انت كيف حالك ؟

- هل تحسن وضعك ؟

- كيف تشعرين الان ؟

فاجبتها وفي قلبي غصة لا اعرف ماذا اصنع:

- لست بخير يا نورة قلبي يتألم كثيرا..

مراد وفرح سيرزقان بولد قريبا، وانا لست قادرة على نسيانه، انا اتعذب من فرط حبي له، لقد زاد المي عندما تزوج من اختي فرح، فلقد صار صهرا، أراه

في بيتنا بين الحين والآخر فلا اكون قادرة على حبه كما كنت افعل ولا اكون قادرة على الحديث معه كما كنت افعل، لقد صار كل شيء معقد بيننا..

منذ أن زرته انا وامي، وانا اتالم في اليوم الآلاف المرات، لأنني كنت كلما التفت رايته يحدق في عيون فرح تحديقا لم ارى مثله حتى في احلامي..

لم استطع اكمال حديثي فاجهشت بالبكاء فجأة، فاندهشت دنيا لسماعي ابكي عل فراقك يا مراد، فاجابتني تريد مواساتي:

- اسمعي يا اختي، اتدري ماذا تفعلين ؟

انت تتعبين نفسك كثيرا بسبب رجل تركك وذهب الي امراة أخرى ولم يجعل لك مكانا في حياته، وتزوج وهو في قمة السعادة مع زوجته..

كيف تفكرين في شخص لزال يراكي مجرد فتاة جرب معها كل شيء لاجل قضاء فراغه..؟

الرجل لا يحب امرأة ضعيفة ابدا...

يحب من لا تهتم وتعطيه أهمية وتراه كما يراها...

اسمعي لدي خطة جميلة تجعلك تخرجين من هذا العالم الكئيب وتشعرين بالراحة وتبتسمين من جديد..

سمعت حديث نورة وفجأة شعرت بالراحة بعد سماعي تلك الابتسامة التي اعتدت أن اسمعها من نورة، فتذكرت كيف كنت تبتسم وتضحك لي لكي تجعلني ابتسم واضحك عندما اكون حزينة وكيف كنت تساعدني على نسياني حزني وغضبي...اه ! يا حبيبي ليتك لم تتركني...ليتك..

فقلت من شدة غضبي منك ولشدة اشتياقي لتلك الايام، وفي الوقت ذاته مشتاقة بشدة لتلك الأيام التي كنت فيها معي:

- قول ما الخطة ؟

فتحمست كثيرا نورة وقالت:

- لنقول انك ستجعلينه يغار قليلا وترين أن كان لازال يحبك.

حسنا هناك شاب رائع أعرفه كان معجبا بك في الجامعة، وكان يراك كثيرا رفقة مراد لكنك لم تري اهتمامه فقرر أن يبتعد قليلا لكنه أخبرني بذلك مرة حين كنت رفقة مراد تتناولان السوديش سويا وتجلسان أمام المدرج وتنتظران أستاذ اللغة الفرنسية

كي يدخل وكنتما تبتسمان كثيرا، فأعجب حينها بك وعشق ابتسماتك فاقال لي وهو يمدحك ويثني عليك ثناءا رائعا كان أشبه قليلا بالغزل:

- لم ارى مثلها، عيناها كلها حياة

كانها ملكة او بطلة في اجمل الروايات

يسطع نور كلما حدثت

تمشي النجوم حيث مشت

ويبتسم القمر كلما حدقت

تراها ملاك في هيئة

بشر خلقت..

كلما ابتسمت زاد قلبي..

لها حبا وملكت نفسي.

كانها لي اجلي فقط

خلقت.

اه ! ليتني اراها

مرة فتخلو لي حينها

فتغدو حياتي في لقياها

جنة خضراء..

وهل يقدر من يعشق ملاكا مثلها أن يرغب بشيء غيرها ؟

فلما انتهى ابتسمت قائلة له:

- انت شاعر حقا يا عامر، منذ متى تحب دنيا ؟

فابتسم يريد ايجابتي:

التقيت بدنيا في احدى الامتحانات، اجتزنا سويا فرايتها حينها اول مرة في المدرج ب، فاحببتها من أول نظرة لا ادري ماذا جرى لي حينها كنت سأجن من شدة ذهولي بجمالها في ذلك اليوم:

كانت ترتدي بنطلون جينس و قميص ابيض و شعرها الاسود يجذبني اليها كلما مشت خطوة.

كانت تلبس في رجلها حذاءا رياضي، و تضع في رجلها الأيسر خلخالا فضي

كان قلبي يخفق كلما مشت وكأنها يمامة فوق أعالي القصر، لكم احببت رؤيتها كثيرا ذلك اليوم، كانت تسرق قلبي كل مرة، كنت أراها..

لم اتمالك نفسي حينها فقاطعته قائلة: تراك عشقتها يا عامر من أول مرة، فكيف تركت مراد يأخذها منك، لماذا لم تخبرها بأنك تحبها ؟

لماذا تركتها تعيش حبا من طرف واحد..؟

وفجأة قاطعني عامر وهو في دهشة من سماعه ذلك مني قائلا:

- حب من طرف واحد...!!

كيف حدث ذلك ؟

فأجبته قائلة:

- اسمع يا عامر ربت دنيا ومراد في نفس الحي منذ سنوات الطفولة حتى بلغا الجامعة معا، وصارا معا يدرسان، وصارا يقضيان وقتهما سويا، فقدر لي دنيا ان تحبه بشدة، فعندما أحست بذلك قررت أن تخبره في من يوم من الايام، فأخبرته بأنها تريد مقابلته لكي تقضي معه القليل من الوقت كعادتهم فعندها جلسا اخبرته بشعورها، وياليتها لم تخبره، فانقلبت حينها حياتها وصارت جحيم، فصار يغلق هاتفه كي لا تتصل به، ويتجاهل حديثها معه، فقط لأنها أحبته، ومضت فترة عاد يحدثها مثلما كان لكنه قال لها انها هي فقط اخت له ولن تستطيع ان تكون اكثر من ذلك وانه لا يستطيع أن يحبها مثلما يحب النساء الأخريات، فغضبت وتالمت كثيرا، وهجرها بعد ذلك وتزوج من اختها، فصارت الحياة بالنسبة لها جحيم لا يطاق ابدا، لان حبها خسر، فتحطمت كل آمالها وخاب ظنها في الحب..

لم يتمالك نفسه عامر حين أخبرته فصار يصرخ بأعلى صوته من فرط غضبه ويقول:

- ماذا فعلت يا مراد، ماذا فعلت ؟

لقد أفسدت الملاك الذي كنت أعشقه..

لماذا، فعلت ذلك..؟

حينها ذهب والدموع في عينيه، وأخبرني أن اعطيك رقم هاتفه وان اخبرك بأنه يحبك ويرغب في دعمك ومساعدتك في تخطي هذه المرحلة.

لما انهت نورة حديثها اجبتها قائلة:

- اسمعي يا نورة، اعرف أن عامر يبدو لك رجلا طيب وخلوق لأنه مدحني وأثنى علي لكنني لزلت اتالم بسبب مراد، ولم انساه لأنه كان حبي الاول وحب الطفولة، فكيف انساه، انا لا استطيع أبعاده عن ذاكرتي حتى، كيف انساه ؟

رغم محاولة نورة اقناعي بعامر لكنني لم اقتنع فاخبرتها بأنني أريد أن استريح قليلا بعيدا عن كل ما يزعجني..

بعدما تركتني نورة خلوت لنفسي، ابكي بشدة لفرط تأثيري عند سماع كلماتها، حين طلبت مني الابتعاد عنك وهي تعلم كم تعني لي..

كلما أريده الان هو ان يفهمني أحد، ان يعانقني ويساندني ويدعمني، فبعدك انت لم أجد شخصا يدعمني ويشعر بالمي ويرافقني في وحدتي..

تركتني بعدما أسندت ظهري عليك، وجمعت كل قوتي منك، ايعقل أن تذهب وتتركتني في فترة كنت في حاجة ماسة اليك ؟

الا تعرف كم انت غالي عل قلبي ؟

الا تعرف كم كنت مغرمة بك، كيف انني لم ارى غيرك في حضرتك ..؟

الا تعلم انك اختزلت كل الرجال ولم تترك أحدا يأخذ مكانك ؟

كنت ساهبك حبا يفوق ذلك الحب الذي تتجرعه كل ليلة...

كنت سأعطيك عطفا يفوق عطفها لك كل يوم...

كنت ساقنعك كل دقيقة وكل ثانية انك لن ترى امرأة ثانية تحبك مثلي وتعشق وجودك مثلي...

كنت ساجعل القمر والنجوم تبتسم كل ليلة لك الا تعرف انني عاشقة لك ومدمنة لحبك...

وكنت سترتوي كل يوم حبا وعطفا، ولم تكن أبدا لتدنو عل ركبتيك لكي تطلب من امرأة أخرى جرعة حب...

وكنت ستبتسم في وجه كل من يراك بلطف كل يوم وكل ليلة، وكان العالم الذي تعيش فيه الان قد تحول الي عالم اخر اين يسمح فيه للقلوب أن تتحدث بالموسيقى وبالكلمات...

لكم انتظرتك الدافتر أن تكتب فيها ما تشعر كل يوم نحوي ولو كان بالخطأ...
لكم كانت ذكرياتنا الجديدة ستنبض بالحياة كل يوم الف مرة لو بقيت معي..

ولما كان الدمع الان يسيل كما تسيل الوديان في الارض، فتتجرع بعد جفاء طويل قطرة ماء...

فلا يغدو اليابس دون حياة، فيصبح اخضر بعدما كان ابيضا أو بنيا يقتله الزمن جوعا..

لا ادري ان كنت تعرف أن وجودك بالنسبة لي ليس فقط حاجة ولا ضرورة ولكنه مقدس كالعبادة، لا يدنس مهما قررت ذكرياتك الرجوعا...
وجود طيفك كل ليلة بين عيوني ليس صدفة وانما رغبة في قلبي لك الرجوعا، لكم تمنيت أن تترك ما بين يديك وتبتعد وتقترب من قلبي
ولو خطأ...

لكم حالت ذكرياتك بين عقلي وقلبي وارغمته الخضوعا، فصار لا يريد النسيان فجعل كل ليلة يدمن التذكر...
تراك ارغمتني البقاء للابد اسيرة في سجنك، ام تراك رسمت اسمك على قلبي وانت في الحقيقة لا تنوي الرجوعا...

ليتك تجيب قلبي وترسل له رسائلا من نسيمك واكسجينك لعله يرجع حيا كما كان أو أكثر من ذلك وضوحا...
فسماؤه ممطرة وغيومه لزالت تغدو صباحا لترجع ليلا فارغة من كل شيء وكأنها سلات من خيبات الأمل..

استحلفك بالله ان رجعت تحدثني كما كنت تفعل، أن لا افعل غير شيء لا يرضيك وان كنت في غيابك بعابدة زاهدة تخاف الوقوع في ذنب وتخشى الابتعاد و عدم الرجوع...
لكم وعدتك منذ التيقينا وكنت اوفي بوعدي كل مرة، ولكنك اخلفت بوعدك ولم تبقى بجانبي وادرت ظهرك لي كشمس في يوم الكسوف رفضت الشروقا..

لا ادري لما اطلب منك ذلك لكنني حقا لا أنوي أن أبتعد عنك يا حبيبي، رغم انك جربت الف مرة هجري وتفننت في جرحي، ورغم الالم الذي اشعر به في قلبي، ورغم اليأس الذي يزورني كلما تذكرت حديثك معي، ورغم الصراع الذي يحدث بداخلي الا أنني لا استسلم لمجرد تركك لي وبمجرد

امتلكاك غيري...

اليس هناك مثل قديم يقول كل شيء مسموح في الحب والحرب، اليس مسموح لي أن احارب من أجل الفوز بحبك ؟

اليس مسموح لي اعادة ذكرياتك في اليوم الالاف المرات رغم كل شيء بدر منك ؟

اجيبني فانا اسمعك منذ التيقتك اول مرة، اجيبني فان قلبي ينزف دما لانك تفننت في جرحه...

ايعقل أن تنهزم كل سبلي في اصطيادك ؟

ايعقل انني ساصفى وحيدة رغم كل شيء فعلته ؟

ايعقل أن قلبك لن يشعر بي بعد اليوم ؟

او يخطا فينبض من اجلي ولو لمرة في العمر ؟

ايعقل انني اصبحت ماضي مستترا وحرفا ليس له محلا من الاعراب ؟

ايعقل أن تصبح صعب المراص رغم محاولتي في كسبك ثانية ؟

لا اعلم ماذا ظننت وماذا تظن لكنني اشعر بكل شيء منك عندما ارى ذكرياتك تمر أمامي كل يوم..

اكانت نورة محقة في حديثها عنك عندما قالت لي انك لن تشعر يوما بي ولن تمشي ابدا صوبي مهما فعلت ؟

تراها فرح أصبحت يانعة وناضجة فجعلت منك فاكهة ناضجة مثلها ترفض أن تأكل من طرف شخص لا يعرف مذاقها غيرها...

لم اعلم يوما كيف يكون مذاق طعمك ولا حتى جربت ان اشعر بنسيمك الدافيء، لكنها فعلت...

كانت تبدو زاهدة فأصبحت بعد ذلك في حبك عاشقة، وكنت أنا عاشقة فأصبحت الان بعد هجرك زاهدة في حبك وحاقدة عليك لانك لم تقبل بي كانت ترى صلاتها عبادة، وحجابها كل شيء تملكه، لكنني كنت عكسها، ارى في تبرجي حجاب وفي فرط تهوري عبادة، ايعقل أن التي تتقن استخدام السجادة كفرح تصبح الان في مكاني الذي لطالما حلمت به..

كانت تتقن كل شيء العبادة والطهي والحديث لكنني، لم أعي كل شيء إلا اسمك فقط، كنت اترجمه كل ليلة الي الآلاف اللغات وارسمه على كل اللوحات وابتسم في وحدتي رغبة في احتضانه لكنني لم اقدر على فعل ذلك لأنه كان يترك يدي كلما مسكته تراه كان يرفض حبي مذ اول مرة لكنني لم اعرف بذلك..

كانت الكلمات التي تخرج من فمك يا حبيبي تشبه الموسيقى، لكم كنت ارقص الخفاء وانت بجانبي تتحدث وتبتسم...

كنت الجزء الاول من الدفتر، وكنت انا الثاني فكنت اكتب معك كل يوم صفحة واتفنن في كتابتها وابتسم وافرح كلما كتبت ..

كانت الايام بيدك كالورود في الباقة تبعث عطرا كلما قابلتك ويغدو الزمن شيء فشيء في حضرتك كنسيم ضائع لا يعرفه سوى العاشق مثلي، لونه احمروملمسه كالبلسم رائع.

اه لكم كان سيكون جميلا لو كانت حروفك رابعة كما تخيلت لكانت حروفنا معا جميلة اكثر مما هي عليه الآن.

لقد ذهبت بسرعة ولم تجعل لنفسك ذكرى معي ولو فعلت لما صرت هكذا لانك لم تجعل لقصتي معك نهاية عادية وجعلت لها نهاية مفتوحة، ايعقل انك تريد الرجوع الي بعد قضاء كل الفرص التي بقيت عندي لك ؟

لا اعلم حقا كم بقى لديك من فرصة لكنك الان لست سوى آثارا قديما لزال ينثر الريح والنسيم، الذي يأتي من الخارج خيارا ويا ليته لم يفعل يوما، فيذكرك في كل مرة يفعل فيها ذلك.

كنت أسأل العشاق الذين لديهم خبرة في صغري وعندما كانوا يقولون لي أن العشق كاسه مر كنت اضحك كفتاة مجنونة ويا ليتني لم افعل، فانا اثمل بتجرع كأس حبك كل يوم فاروى في اليوم الف مرة لكي اشفي جروحي لكن

يبدو انني لا اشفى رغم جهودي في المحاولة..

لو لم التيقك يوما ما كان ذلك سيحدث معي وما كانت الآلام ستطرق بابي بعنف كما تفعل الان معي، ولما كانت العواصف تضرب قلبي ضربا كلما تذكرتك وكلما جعل الماضي يذكرني باخر جرح سببته لي...

صار السبيل الي الوصول لحضرتك شبه مستحيل وصار الكل يلومني على حبك يوما، ولكنك كنت صدفة وكنت قدرا في الوقت ذاته فكيف لي ان اطرد الأقدار الجميلة التي تزورني...؟

كنت ساطردها لو كانت غير ذلك لكنني لم افعل لأنها وهبتني حبا رابعا وطيفا جميلا كطيفك فكيف ارفض ذلك وانا التي كنت أقدس كل لحظة كنا نقضيها سويا نتحدث ونضحك ونمرح في انعزال عن العالم..

كم كنت ساخجل لو رفضت ذلك من القدر وقلت له إنني لا اريدك وكم كنت ساندم على لقاءك لانك كنت اجمل شيء حدث لي واجمل روح لطالما ارتبطت بروحي و أعظم قلب تنفس بجانبي الآلاف المرات..

كم كنت غبية عندما رايتك ملاكا طاهرا لا يخطأ أبدا، كم كنت بريئة، متهورة، لقد كانت عيونك تخطفني كلما جلست بجانبي رغم انك كنت تعتبرني اختا إلا أنني كنت أمارس طقوس الحب كل يوم معك لكنك لم تكن تدرك ذلك،...

لقد كانت ذكرياتك ترشم في ذاكرتي كلما التقيتك وكان النسيم الدافيء يجمل

صورتك ويطهرها في عقلي وقلبي فصرت أدمن رؤيتك وأرى في أخطاءك أعذارا، وكنت أفهم عباراتك دون شرحها وكنت أمسك يدك في لحظة خوف لم تترجمها لي لكنني كنت أشعر بك رغم أنك كنت تختبيء خلف رجل غامض إلا أنني كنت أترصد عيونك كل مرة فأحاول تحليل نفسك ومعرفة سبب سكوتك...

رغم أنني كنت أعبر مسافات طويلة كي أصل إلي قلبك لكنني كنت أفهمك منذ أول

وهلة ومنذ خروج أول كلمة من فمك وانت معي ...

فالعشق معادلة ناقصة عندما يكون الفصل الأول فيها غير مقنع والفصل الثاني غامض أيضا، فكيف أتركك تشعر انني غامضة ؟

فأنا لطالما رأيت فيك الحصن الذي لا يتركني أتألم، وحيدة في عالم لا يرحم، ولطالما جعلت منك أبا ثاني لي لكنك لم تشعر بذلك...

كنت أجثو على ركبتيا كل يوم لتقبيل يديك ورجليك حبا فيك لا ذلا، لكنك كنت تراني فتاة بسيطة جدا لا ترقى لحضرتك، فأنت نجم ساطع وترغب في أمرأة مختلفة شكلا ومضمونا، تكون انت فيها اللعبة وهي الشخص الذي يضع قوانينها،..

لكن من قبلت كل شيء فيك دون تردد، اخطاءك وخسارتك وخوفك وغضبك وفرحت لفرحت وكانت السند لك في كل مرة تطلب منها أن تكون خارجة عن عالمك ..

لقد كنت أعشق بساطتك وابتسامتك وحبك للحياة، وقناعتك بنفسك، ولله يعلم كم كنت أفرح لفرحك وأبتسم من كل قلبي لأنك كنت تبتسم، أدعو الله لك في الخفاء رغم أنني كنت بعيدة عن العبادة، كنت أعبد الله كي تكون بخير وترتاح في حياتك...

كنت أحزن كلما تحزن وأبكي في صمت في غرفتي كلما تبكي نفسك، لكنك لم تشعر بذلك، فالحبيبة ليست فقط حاجة بيولوجية أو مجرد وسادة يستند عليها الرجل وإنما هي نسمة دافئة ووردة أقحوان جميلة في حياته، تسقيه عطرا كلما شعر بعدم الإرتياح أو اكتئب، هي الروح الثانية له التي تسكنه عندما يحزن وتتملكه كلما شعر أنه وحيد ويريد العطف والحب والحنان...

ولو وصل الإنسان الكمال، لوصلت أنا في حبك إلي الكمال يا حبيبي، فإنني كتبت كل حروف الجمال في وصفك ولكنني أيقنت بعد كتابتي ذلك أنك لم تستحق ذلك وأنك غير مؤهل لذلك...

أيعقل أننا نخلق لكي نكتب على دفاتر حمراء قصصنا وننساها رغما عنا عندما يرفض الحبيب حبنا ؟

أيعقل أن الكل منا خلق لي يكتب قصة حب هجره صاحبه ولم يقتنع بوجوده فقط لكي يثبت للقدر انه تقبل ما وهبه إياه؟

لا أعلم لكنني مذ التقيتك صرت أريد الإنعزال لكي أتذكر حديثك بالتفصيل وأرتشف فنجان قهوتي في تذكر كل حرف صدر منك لكي أتذوق طعمه، أكان أول حرف خرج منك وأنت معي في أول يوم التقينا فيه معا نفس طعم الحرف الذي صدر منك وأنت تهجرني ؟

أعرف انك لا تعرف شيء عن الأذواق سوى التكبر على حبي والهجر، ولم أكن لك جزءا مهما لدرجة أن تتذوق الحروف قبل صدورها لكنني كنت أفعل ذلك كلما جلست وحيدة أتأمل ما صدر منك...

لكنني رغم كل شيء بدر منك الا أنني لازلت أنتظر منك إشارة، لزالت أحدق في السماء، أنتظر منها ابتسامة حظ، وأرقب من بعيد لعلك تخطأ مرة وتأتي لتسأل عني...

تراني مخطئة في التفكير بك ام أنني أفكر كعاشقة ضعيفة لا تستطيع أن تقف على قدميها من دون سند حبيبها ؟

أم تراني أجهل ما تحب وما تكره وأنا عند بابك ضيفة ضائعة لا ترغب بأن تدخل بيتك سوى شفقة...؟

أتشفق علي لأنك تراني غبية وغير قادرة على إقناعك بحبي لك ؟

قلت لي أنني أهرب منك لأنني لا أريد ان أراك، لكنك كنت مخطئ، لانني كنت أشعر بأنني لازلت أحبك إلي حد الجنون، حتى صرت أجهل من أكون، في وجود طيفك أمامي...

لا أعلم إن كانت كل النساء مثلي تدمن في الحب، لكنني أظن أنني بالغت في حبك وصرت ثملة لا تريد الإستقياظ من حلم لزال يزورها كل ليلة..

لا أعلم لكنني سمت من انتظاري لك وتفاؤلي الزائد بك وبحبك الذي لم يجلب لي إلا التعاسة في حياتي، لا أدري حقا إن كنت ذات عقل سليم لكنني حقا ذات قلب سليم للأنني أحببتك من كل قلبي وتمنيت أن اكون معك.

رغم غيابك عني الأن إلا أن حروفك لزالت، أهم لدرجة أنني علقتها على جدران غرفتي ووضعتها كلمة سر لكل شيء أنوي فتحه، تراني أتأمل رجوعك لي أم أن حبك قد أصبح هوسا لي...؟

كم هي تعيسة حياتي الحاضرة أنت تتقاسم فرحتك بمجيء طفلك وثمرة حبك، وانا أحلم بارجاع شخص قد سافر ولازلت ذكرياته تألمني فأود أن أعيده إلي..

أأنا مخطئة بقرري أم مجنونة ؟

أعرف أن قراري لا يعجبك لكنني أحاول انقاض شخصا من الموت، كان يغرق في أعماق البحر وأنا أحاول ان أنقضه علني أنجح بذلك، أتعلم من هو هذا الشخص الذي أحاول ان أنقضه ؛ هو أنا يا مراد، أنا من كانت تحاول أن تبتعد عنك ممنذ أن صارحتك بمشاعرها ومن حاولت أن تقتل نفسها فقط لكي لا تراك مع امرأة أخرى ولو كان ذلك بالخطأ..

لا أدري لما أحيانا أشكر القدر لأنه وهبني فرصة كي أحبك، لا أدري لما أنا أشكره، فتغيير الأقدار بيد الخالق فقط، ولو كانت المسافات بيني وبينك بعيدة كل البعد، ولو كان كل شيء قد تغير وأصبح اللقاء بيني وبينك شبه مستحيل..

أعرف أن الكل يريد مني التغيير أمي وفرح ونورة وأبي ولكنني، لا أستطيع أن أتخلى عنك تحت أي ظرف كان، أتعرف انك أصبحت جزءا من حياتي ..

لا أعلم كيف أقنعك أنني أود نسيانك وكل السبل وكل المواقف تجي بنسيانك لكنني لا أدري لما لا أقدر على نسيانك هي الدنيا تهبنا أشخاصا، فندمن في حبهم ولا نستطيع التخلي عنهم رغم بعدهم عنا...

أهذا حب أم مجرد ابتلاء بالحب ؟ لا أدري حقا كيف ابتليت فجأة بحبك وأنا لم أكن أنتظر ذلك...

ربما قد أكون في طريق مسدود وقلبي لزال مجروح مما حدث معه ومما سيحدث، لكن هناك علاقات لا تنتهي بمجرد قول كلمة «الوداع»..

هناك علاقات خالدة رغم المسافات ورغم القرارات القاسية والحاسمة في حق كل حبيبين..

ربما كتب لي ان أحبك دون أن أنتظر منك كلمة حب ودون أن أنتظر منك ردة فعل ..

ربما قدر لي حبك من بعيد، وتبادل مشاعر الحب فقط مع ذكرياتك، فلقد أصبحت غير قادرة حقا على حب شخص أخر، لا أدري لما، ربما لأن قلبي مات يوما عندما رفضت حبه، أم لزال ينبض عندما يشم رائحة ذكرياتك ؟

كم هي مؤلمة الخسارة أمام من نحب، وكأننا ذبحنا من أخر قطعة في قلوبنا، ولزالت تنزف رغم مرور السنوات..

هي خمس سنوات على زواجك من فرح، وزواجي أنا من ذكرياتك،

نعم ليت ما حدث بيني وبينك لم يحدث، أعرف أنك لزالت تقولها لحد اللحظة، خاصة عندما هربت بعيدا عنك في ذلك اليوم إلي قسنطينة،

لم ترى ذلك تضحية أبدا بل رأيته تهورا وجبنا مني، أتعرف أنني أخطأت في شيء واحد فقط لأنني استسلمت وذهبت وتركتك لو لم أفعل حينها ذلك، لما كنت الأن في حضنها..

لكن رغم ما حدث يا حبيبي، ورغم كل المسافات بيننا إلا أنني لن أستطيع أن أتخلى عنك وستظل ذكرياتك خالدة في ذاكرتي، لأنني أحببتك بكل جوارحي، وهل من يحب حقا يجب أن يكون مع محبوبه فقط لكي يظل على حبه ؟،

هناك قصص حب لا يكتب لها أن تنتهي بالزواج، والإرتباط، وتبقى النهايات فيها مجهولة، تنتظر لعبة القدر أن تبدا في تغييرها في يوم من الايام..